جمهورية العراق

ديوان الوقف الشيعي

مجلة فصلية تعنى بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن

العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

شعبة الدراسات والنشرات

العدد الثالث / السنة الأولى

محرم الحرام ١٤٣٩هـ - تشرين الأول ٢٠١٧م

أوراق معرفية

المشرف العام

السيد أحمد الصافي

رئيس التحرير

السيد ليث الموسوي

مدير التحرير

بدر العلي

سكرتير التحرير

حسن علي الجوادي

هياة التحرير

حارث الداحي – موفق هاشم

مهند السهلاني – حسين علي الشامي

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود – عمار كريم السلامي

التصميم والإخراج الفني

محمد قاسم عرفات

المحتويات

١٠ الاعجاز البلاغي
آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

١٢ العنصر البنائي
د. محمود البستاني

١٨ التفسير الموضوعي
الشيخ محمد هادي معرفة

٢٠ دلالة الفزع الهائل
د. محمد حسين الصغير

٢٢ وقفة للتدبُّر
الشيخ محمد جواد مغنية

٢٤ منهج التثبّت في شأن الدين
السيد محمد باقر السيستاني

٣٠ نقض العلم الحديث لدعوى أزلية المادة
الشيخ محمد حسن آل ياسين

٣٤ توحيد الله في العبادة
الشيخ محمد جواد البلاغي

٣٨ حجية الظن في الامور التكوينية...
مرجع الطائفة السيد الخوئي قدس سره

٤٠ فائدة التشريع
السيد شهاب الدين المرعشي

٤١ مدرك حجية قول الرجالي
الشيخ باقر الايرواني

٤٤ لماذا أصبح العام الهجري مبدأ...
الشيخ جعفر السبحاني

٤٦ الثوابت الأربعة في ثورة الإمام...
الشيخ محمد رضا المظفر

٥١ الفضل ما شهدت به الاعداء
آية الله العظمى الصافى الكلبايكانى

٥٦ آثار الحركة الحسينية
السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

٥٨ حركة التوابين (سنة ٦٥ هـ)
السيد زهير الاعرجي

٦٢ الصغائر قد تكون كبائر
الشيخ محمد مهدي النراقي

٦٥ الأثر الاجتماعي للحياء
الشيخ محمد تقي فلسفي

٦٦ هل الاسلام قادر على إسعاد...
السيد محمد حسين الطباطبائي

٦٨ واقع الصداقة والأصدقاء
السيد مهدي الصدر

٧٠ مجلة الاعتدال
إعداد أوراق

٧٣ التقوى والتنمية الاقتصادية
الشيخ محمد الريشهري

٧٥ في رثاء الإمام السجاد عليه السلام
الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي

٧٦ فاجعة الطف
السيد محمود الحبّوبي

٧٩ جل المصاب
د. مصطفى جواد

الورقة الأولى...

الأوراق بين جمال المعنى وثقل الالفاظ تتأرجح لتوزع معرفة رصينة متينة مبنية على الدليل والحجة البالغة، تنهض بالإنسان للغاية التي خلق من أجلها، مطبوع على جبينها كلمات حكيمة ونظريات رفيعة بأساليب مختلفة تستشف نتيجتها المبهرة من تراث علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام تغوص في اعماق المصنفات والمصادر فتتوغل لتخرج درراً ونكات علمية ورؤى عالية خالية من السطحية والانشاء، لأننا بحاجة ماسة الى افكار العلماء وآرائهم وكلماتهم، كونها مرتكزة على الدليل والحجة والبرهان، وتعلِّم الجيل الصاعد اتباع الافكار للدليل، فقد باتت المعلومات تنتقل من منابر ومحطات مختلفة دون ان تُضبَط بضوابط البحث والمنهجية العلمية الرصينة، لذا فمن الصحيح ان توجد مساحة فكرية ثقافية توصل الفكرة والموضوع للمتلقي بأمانة ووعي عالٍ.

بين يديك ايها القارئ مرجعية معرفية تنصهر اوراقها لتقدم باقة علمية مزدانة بأسماء كبار اوتاد المذهب بمختلف الاساليب والرؤى لتدفع الثقافة البديلة وترجع هيبة المعرفة الدينية الى روادها ولتكون منهلاً لأصحاب الفضيلة والعلم والمعرفة والثقافة، وحبل الوصل بين علماء الامة والجيل الناهض بمختلف المستويات والاعمار، وبذلك تسدد ضربة موجعة في خاصرة الوهم والجهل، فتبدد بذلك اوهام الواهمين وتدفع وسوسة الموسوسين براية الحجة والدليل والبرهان، لذا لا تخسر تجوالك المعرفي في هذه الاوراق الغنية.

الاعجاز البلاغي

آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

دلالة الفزع الهائل

د. محمد حسين الصغير

العنصر البنائي

د. محمود البستاني

وقفة للتدبر

الشيخ محمد جواد مغنية

التفسير الموضوعي

الشيخ محمد هادي معرفة

الإعجاز البلاغي

آية الله العظمى
السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله

وذلك ما يحسّه القارئ وجداناً من روعة بيانه، وجمال أسلوبه، وارتفاع مستواه، ونفوذه في أعماق النفس، وطراوته وجدته، مهما طال الزمان، واختلفت أساليب الكلام والبيان.

وهو فوق كل كلام، حتى كلام النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في خطبهم وأحاديثهم، فإنه مهما ارتفع مستواه لا يبلغ شأو القرآن الكريم، ولا يصل إلى مستواه، بل ينفرد القرآن بالرفعة، وبخاصية يمتاز بها عن كلام البشر، وقد تقدم حديث أبي علي الجبائي مع ابن الراوندي حوله، ويأتي حديث الوليد بن المغيرة عنه.

وفي حديث إبراهيم بن العباس عن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه عليه السلام: «أن رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة؟ فقال: لأن الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة».

ونحوه حديث ابن السكيت عن الإمام الهادي عليه السلام.

أضف إلى ذلك أمرين:

الأول: علوّ مضامينه وشرفها وانسجامها مع العقل والفطرة. بحيث يتقبلها السامع ويتفاعل معها من دون كلفة.

الثاني: أنه يوحي بشيء مقوم لكيانه، لا يفارقه ولا يغفله من فاتحته إلى خاتمته، وهو أنه كلام الله تعالى في تعاليه ومالكيته، وقدرته وسيطرته، وجبروته وكبريائه، وقاهريته، وعلمه وحكمته، وإنعامه وإفضاله.

وهو لا يغفل ذلك، ولا يتنازل عنه مهما اختلفت المقامات وتباينت المقاصد والمضامين التي يطرقها، من الثناء على الله تعالى وتمجيده، والحوار بينه وبين عباده من أنبيائه وملائكته، وحتى المعاند له المتمرد عليه إبليس لعنه الله وحديثه عنهم وحديثهم عنه، ووعده ووعيده، وإنذاره وتبشيره، وأمره ونهيه، وحكمه وقضائه، وإرشاداته وآدابه، وعفوه ورحمته، ونكاله ونقمته... إلى غير ذلك.

وهذه الأمور بمجموعها أوجبت انبهار سامعيه وتضاؤلهم أمامه، وشعورهم بعلوّه وارتفاعه عن مستوى كلام البشر.

بل إذا بقي القارئ له على سجيته، وتحللت عنه عقد العناد والتعصب، أو التشكيك والتردد، تفاعل معه وانتقل به إلى عالم آخر غير ما يعهده من كلام البشر، وتجلى له أنه كلام الله جلّ شأنه، وكأنه يسمعه منه، أو ينظر إليه في كتابه، كل ذلك لأنه لا يليق إلا به سبحانه، ولا يصدر إلا عنه جلّ شأنه.

ولعله إلى ذلك يشير الحديث عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أنه قال: «لقد تجلى الله لخلقه في كلامه، ولكنهم لا يبصرون».

[أصول العقيدة]

العنصر البنائي

د. محمود البستاني

يقصد بهذا العنصر: عمارة السورة القرآنية الكريمة، حيث يحتلّ العنصر البنائي أهمّ العمليّات التركيبيّة للّغة من حيث كونها مستهدفة توصيل الدلالة بنحو له فاعليّته المطلوبة في إثارة المتلقّي. والمهمّ أنّ المتلقيّ - إذا كان واعياً قراءته - عند ما ينتهي من النصّ يتحسّس بأن ثمة (دلالة) لا يعي أسرار هيمنتها عليه، ولكنّه يحياها وكأنها تتسّرب إلى دمه نتيجة لما تركه أثر القراءة للنّص، ويمكن الذهاب إلى أنّ هذا الأثر الّذي تتركه السورة يعود إلى جملة من الأسباب، لعلّ أبرزها يقوم على طبيعة البناء الذّي سلكه النصّ: من حيث البداية والنهاية وما تخللهما من تفريغ للموضوعات، وما واكب ذلك من توازن وتقابل وتجاور وتداعٍ بين الأجزاء الّتي يرتبط كلّ منها بسببية محكمة... والمهمّ أنّ هناك (وحدة عامّة) تطبع السورة الكريمة بحيث تميّزها عن السورة الأخرى وتجعل لكلّ منها: شخصية مستقلة لها

سماتها الخاصّة بها، وهذه (الوحدة العامّة) أو (وحدة السمات) تخضع لمستويات متنوّعة من البناء، يمكننا ملاحظتها من حيث: بناء الموضوعات، وأشكالها، وأدواتها:

أولاً: من حيث الموضوعات والأهداف:

إنّ كلّ سورة تتضمّن موضوعاً أو أكثر وهدفاً أو أكثر، بحيث يمكن القول بأنّ السورة من حيث (موضوعاتها) وصلتها بـ(أهداف أو فكرة) السورة، تتّخذ واحداً من الأبنية الآتية:

١. وحدة الموضوع ووحدة الفكرة أو الهدف: أي إنّ السورة تحمل موضوعاً واحداً أو هدفاً واحداً، وهذا من نحو سورة (الكافرون)، حيث إنّ موضوعها واحد هو (علاقة المؤمن بالكافر)، وهدفها واحد هو: (لكلٍّ عبادته: لكم دينكم ولي دين)، والّذي يوحّد البناء فيها هو: فكرتها الذاهبة إلى أنّ المهمّ هو أن يمارس الإنسان مسؤوليته.

٢. وحدة الموضوع وتعدّد الهدف: أي: إنّ السورة تتضمّن موضوعاً واحداً، ولكنّها ذات أهداف متعدّدة، وهذا من نحو سورة (يوسف) حيث إنّ موضوعها هو حياة يوسف، ولكنّ أهدافها متعدّدة مثل فكرة الصبر، العفّة، الحسد، الغيرة... الخ. والّذي يوحّد البناء فيها هو: حياة يوسف.

٣. تعدّد الموضوع ووحدة الهدف: أي: إنّ للسورة موضوعات متعددة، ولكن هدفها واحد، وهذا من نحو سورة (الكهف) التي تتضمّن موضوعات متعدّدة تتّصل بأهل الكهف، وذي القرنين، وصاحب الجنّتين، و...الخ، إلا انها ترتبط بهدف واحد هو (زينة الحياة الدنيا) حيث طُرح مفهوم الزينة في أكثر من موقع وحيث جسَّد أهل الكهف فكرة النبذ لزينة الحياة الدينا، وحيث جسّد ذو القرنين -مع أنه يملك شرق الأرض وغربها- نبذ الزينة، بينما جسّد صاحب الجنتين وهما لا تقاسان بملك ذي القرنين تشبثه بالزينة،... وهكذا كانت الموضوعات متنوّعة ولكنّها تصبّ في هدف واحد...والّذي يوحد البناء فيها هو فكرتها الذاهبة إلى نبذ زينة الحياة الدنيا.

٤. تعدّد الموضوعات وتعدّد الأهداف: أي: إنّ السورة تتضّمن موضوعات متعّددة وأهدافاً متعّددة، وهذا من نحو سورة الفجر الّتي تتضمّن موضوعات مختلفة مثل: القَسَم بالظواهر الكونية، والعرض لمصائر البائدين، وتقدير الرزق للأغنياء والفقراء، وعدم تكريم اليتيم...الخ.وكلّ واحد من هذه الموضوعات المتعددة يشمل هدفاً بحيث تتعدد الأهداف الّتي هي: لفت النظر إلى معطيات الله الإبداعيّة، واستخلاص العِظَة من البائدين، وإدراك أنّ الرزق مرتبط بمصلحة الفرد،... تتعدّد هذه الأهداف بتعدّد الموضوعات ذاتها والّذي يوحّد البناء فيها هو: مجموعة الأهداف التي تحوم حول فكرة: أن يستثمر الإنسان معطيات الله تعالى عبادياً، لا أن يطغى من خلالها: سياسياً أو عمرانياً أو اقتصاديا.

بيد أن (الوحدة العامة أو وحدة النص بمستوياتها الأربعة) لم تصغ إلا وفق (سببية) تربط بين كل جزء

من أجزاء النص، سواء أكان النص ذا موضوع واحد، حيث ترتبط أجزاء الموضوع الواحد فيما بينها، أم كان ذا موضوعات متنوعة حيث ترتبط الموضوعات بعضها مع البعض الآخر مضافاً إلى أجزاء الموضوع، وسواء أكان ذا هدف واحد أم أهداف متعددة: حيث ترتبط هذه الأهداف فيما بينها برباط التجانس أو التداعي الّذي ينقل فكرة إلى أخرى بينهما سمة مشتركة... فسورة ﴿**أرأيت الذي يكذب بالدين... فويل للمصلين ۞ الذين هم عن صلاتهم ساهون ۞ الذين هم يراءون ۞ ويمنعون الماعون**﴾: تتضمن أكثر من موضوع، وكل موضوع يتضمن أكثر من هدف، إلا أن موضوعاتها وأهدافها تصاغ وفق (سببية) تربط بين أجزائها المتنوعة جميعاً، ففي الآية الأولى تشير السورة إلى المُكذب بالدين، والثانية تشير إلى واحدة من صفاته التي تستهدف إبرازها وهي نهره اليتيم، والثالثة إلى صفة أخرى لديه هي: عدم تحريضه على مساعدة الفقير، والرابعة تنتقل إلى موضوع آخر تستهدف إبرازه أيضاً نظراً لأهميته وهو: المصلي، والخامسة تشير إلى واحدة من صفاته السلبية وهي السهو عن صلاته، والسادسة تشير إلى صفة أخرى للمصلي هي رياؤه في الصلاة، والسابعة تشير إلى صفة أخرى هي: عدم إنفاقه في وجوه الخير،... فالملاحظ أن الآيات الثلاث الأولى التي تتناول موضوع المكذب بالدين قد ارتبط كل منها بالآخر بسببية واضحة هي: المكذب الذي ينهر اليتيم ولا يحض على مساعدة الفقير. كما أنّ الآيات الأربع الأخيرة التي تتناول موضوعاً آخر هو: بعض المصلين، قد ارتبط كل منها بالآخر بسببية واضحة أيضاً هي: سهوه عن الصلاة، ورياؤه فيها، وعدم إنفاقه، حيث إن عدم الإنفاق هو سمة مستقلة عن الصلاة، ولكن النص يستهدف إبراز سمة مهمة هي: عدم الإنفاق، فأدرجها ضمن سمات هذه الشخصية مثلما أبرز سمة نهر اليتيم وعدم مساعدة الآخرين ضمن سمات الشخصية المُكذبة بالدين،... والمهم أن النص طرح سمات مختلفة لدى الشخصية، ولكنه وصل بين الشخصيتين برباط مشترك يحقق وحدة النص ألا وهو (البعد الاقتصادي) لدى الشخصيتين (المُكذبة والساهية عن الصلاة) حيث إنّ كلتيهما تتميزان بصفة مشتركة بينهما هي: عدم مساعدتهما الآخرين، سواء أكان ذلك طعاماً أم زكاة أم مطلق المتاع، وسواء أكان ذلك يتصّل بمساعدة اليتيم، أو يتّصل بمساعدة الفقير، أو يتّصل بمساعدة مطلق المحتاجين.

إذاً، أمكننا أن نلحظ كيف أنّ سورة قصيرة مثل سورة (الماعون) قد أحكم بناء موضوعاتها وأهدافها وفق (سببيّة) تربط بين أجزاء السورة وتحقّق فيها (وحدة): تشبه وحدة الجسم الحّي الذي ترتبط أجزاؤه بعضاً مع الآخر... والملاحظ: أنّ بناء الموضوعات والأهداف وفق (السببية المحكمة) يتّخذ أكثر من شكل:

أ. **البداية والوسط والنهاية:**

كلّ سورة تتضمَّن (بداية) تطرح الموضوع، و(نهاية) يختم بها، و(وسطاً) يتناوله تفصيلاً.

وهذا مثل سورة (المزمل) التي تبدأ بـ ﴿**يا أيها المزمل ۞ قم الليل إلا قليلاً ۞ نصفه أو انقص منه قليلاً ۞ أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا**﴾ وتختم بآية ﴿**إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه...**﴾ الخ.

وما عدا ذلك، فإنّ (الوسط) يتحدّث عن مستويات قيام الليل، وذكر الله، وتلاوة القرآن، وأسلوب التبليغ، والجزاء الأخروي... الخ، حيث يُلاحظ أن ارتباط كلٍّ من البداية بوسط السورة، ووسطها بختام السورة: من الوضوح بمكان كبير... وهذا الارتباط يتم بأكثر من وسيلة وفي مقدِّمة ذلك:

ب. **الإجمال والتفصيل:**

فالسورة المتقدمة تضمنت بدايتها طرحاً مجملاً هو: قيام الليل، ولكنّها بدأت بتفصيل ذلك تدريجياً...، فالمقدّمة طالبت بقيام الليل ﴿**قم الليل**﴾ -وهو قيام مجمل- ثمّ فصّلت الحديث عنه فقالت ﴿**إلا قليلاً**﴾ ثمَّ فصلت ذلك ﴿**نصفه أو انقص منه قليلاً، أو زد عليه ورتّل...**﴾ فالنقصان والزيادة والنصف والقلّة: تفصيلات للإجمال المشار إليه... وبهذا يكون ارتباط الأجزاء بعضها مع الآخر، قائماً على بناء خاصّ هو: إجمال الموضوع وتفصيله كما هو واضح.

ج. **النمو:**

قد يكون ارتباط الاجزاء مع بعضها قائماً على تنامي وتطوُّر الأفكار أو الموضوعات المطروحة، بحيث يبدأ الموضوع من حالة خاصّة وينتهي إلى حالة أخرى، أو يُشكّل إرهاصاً بموضوع آخر يترتّب عليه.

فمن النوع الأوّل: قضية المكذبين (في سورة المطفّفين) حيث وصفهم النصّ بقوله﴿ **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ۞ وإذا مروا بهم يتغامزون** ﴾ ثم وصفهم في آخر السورة من خلال عرضه لمصائر المؤمنين، قائلاً: ﴿**فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الآرائك ينظرون**﴾، فالضحك يمثِّل حالة طبعت سلوك المكذِّبين، إلا أنّهم تحولوا إلى حالة مضادة حينما يبدأ المؤمنون بالضحك عليهم في اليوم الآخر.

وفي نفس السورة: نجد أن النص يخاطب المكذبين بقوله: ﴿**وما يكذِّب به إلّا كلّ معتدٍ أثيم**﴾ ثمّ تتنامى هذه المقولة لتخاطبهم في يوم الجزاء بهذا الشكل ثمّ يقال: ﴿**هذا الذي كنتم به تكذِّبون**﴾ حيث تنامى وتطوّر مفهوم التكذيب، إلى مواجهة مباشرة لنتائجه التي ذكّرتهم به...

ومن النوع الآخر من أشكال (النّمو) الفنّي للموضوعات، ما نلحظه -على سبيل المثال- في قضيَّة أصحاب موسى عليه السلام حينما هدّدهم فرعون بالانتقام منهم، وعندئذٍ: ﴿**قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا**﴾، قال -أي موسى عليه السلام- ﴿**عسى ربُّكم أن يهلك عدوَّكم، ويستخلفكم في الأرض، فينظر كيف تعملون**﴾ هذا الكلام الذّي تحدَّث به موسى: يشكّل إرهاصاً فنّياً بما سيكشف

عنه المستقبل... وفعلاً بعد أن، تمضي أحداث مختلفة، إذا بالسورة تقول عن قوم فرعون ﴿**فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليمِّ**﴾ وهذا هو جواب لموسى عليه السلام في قوله السابق ﴿**عسى ربّكم أن يهلك عدوّكم**﴾ وقد هلك العدو بالفعل، ثم يقول النص ﴿**وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها**﴾ وهذا جواب لموسى عليه السلام في قوله: ﴿**عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض**﴾.

وأما الجواب الثالث فيُجسّد قمّة الإمتاع الفنّي حينما يجد القارئ بأنّ موسى عليه السلام عندما قال لقومه: ﴿**عسى ربّكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون**﴾ هذه الفقرة الأخيرة ﴿**فينظر كيف تعملون**﴾ تشكل إرهاصاً فنياً بما ستتوالى وتتطور الأحداث من خلاله، فقد قال لهم: إن عدوكم سوف يُهلك وأنكم سوف تخلفونه ولكنه لم يبارك للإسرائيليين مصائر استخلافهم، بل قال لهم إن الله سوف ينظر ماذا تعملون... وهذا يعني أن ما سوف يفعلونه لن يكون إلا الفساد، وبالفعل: ما إن غرق فرعون وقومه وجاوز الإسرائيليون بالبحر حتى طالبوا موسى بأن يجعل لهم صنماً ﴿**و جاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ۞ قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة...**﴾ ثم سرعان ما عكفوا على عبادة العجل، ثم تتابعت انحرافاتهم...الخ.

إذاً: أتيح لنا أن نلحظ كيف أن أقوال موسى الثلاثة (هلاك العدو، الاستخلاف، النظر فيما يعمل قومه بعد ذلك) قد انعكست إرهاصاً بما سوف يحدث من وقائع يتحقق فيها هلاك فرعون فعلاً، واستخلاف الإسرائيليين، وفسادهم.

ثانياً: أمّا من حيث الأشكال البنائية، فيمكن تصنيفها وفق ما يلي:

١. **البناء الأفقي:**

وهو أن تبدأ السورة بطرح موضوع معين، وتنتهي السورة بطرح نفس الموضوع. ومثاله: سورة (المُزمل) التي لا حظناها قبل قليل حيث بدأت بالحديث عن قيام الليل وتحديد زمنه ﴿**قم الليل إلّا قليلاً ۞ نصفه أو انْقص منه قليلاً ۞ أو زد عليه**﴾ وختمت السورة -بعد أن قطعت رحلة في موضوعات أُخرى- بنفس الحديث عن قيام الليل وتحديد زمنه حيث جاءت الآية الأخيرة بهذا النحو ﴿**إنّ ربّك يعلم أنّك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه...**﴾ ومثلها سورة الواقعة الّتي تحدّثت عن أصناف ثلاثة (بعد المقدمة هم أصحاب السبق، واليمين والشمال) وختمت بنفس التصنيف الثلاثي ﴿**فأمّا إن كان من المقرّبين...**﴾ ﴿**وأمّا إن كان من أصحاب اليمين**﴾ ﴿**وأمّا إن كان من المكذّبين...**﴾.

٢. **البناء الطولي:**

وهو أن تبدأ السورة بطرح موضوع معيّن، ثم تنتهي إلى خاتمته: حسب تسلسله طولياً، ومثاله سورة (نوح) الّتي بدأت بالحديث عن إنذار نوح قومه ﴿**قال ياقوم أني لكم نذير مبين...**﴾ ثم قطعت رحلة في عرض هذا الإنذار ومواجهته، حتى انتهت

إلى حادثة الطوفان ﴿**ممّا خطيئاتهم أُغرقوا...**﴾.

٣. **البناء المقطعي:**

وهو أن تطرح السورة جملة من الموضوعات، ثم تقف عند نهاية كلّ قسم منها أو عند بداية قسم جديد فتجعله محطة توقّف لتعود إلى المحطّة ذاتها بعد أن تقطع رحلة ما، وتتكرّر هذه الرحلات ويتكرّر الوقوف عند نفس المحطة... وهذا من نحو سورة (المرسلات) حيث ينتهي كلّ موضوع من موضوعاتها المختلفة عند مقطع يقول: ﴿**ويل يومئذ للمكذّبين**﴾:

على هذا النحو:

﴿**والمرسلات عرفاً... ويل يومئذ للمكذّبين**﴾ ﴿**ألم نهلك الأوّلين... ويل يومئذ للمكذّبين**﴾ ﴿**ألم نخلقكم من ماء مهين... ويل يومئذ للمكذّبين**﴾ ﴿**ألم نجعل الأرض كفاتاً... ويل يومئذ للمكذّبين**﴾ ﴿**هذا يوم لا ينطقون... ويل يومئذ للمكذبّين**﴾ وهناك المقاطع ما تشكل محطة توقّف بين كلّ آية وأخرى، مثل سورة (الرحمن) التي تتوقف رحلاتها عند آية ﴿**فبأي آلاء ربّكما تكذّبان**﴾.. وهناك أشكال متنوّعة من البناء (المقطعي)..[1]

ثالثاً: من ناحية الأدوات الفنّية:

أمّا من حيث بناء السورة القائم على الأدوات الفنية أو العناصر الفنية مثل: العنصر الإيقاعي والصوري والقصصي الخ، وصلة هذه العناصر بهيكل السورة: من حيث الوحدة العامّة التي تطبعها، فيمكن القول بأن هذه العناصر أو الأدوات الفنية ترتبط فيما بينها برباط عضوي بحيث تتحقق (وحدة عضوية) بين هذه العناصر،... وهذا من نحو سورة (القمر) مثلاً حيث تحدثت هذه السورة عن قيام الساعة ﴿**اقتربت الساعة... الخ**﴾، ثم استخدمت العناصر الإيقاعية والصورية واللفظية والقصصية في إنارة هذا المفهوم، فجاءت القصص تتحدّث عن كيفية الجزاء الدنيوي الذّي لحق المكذبين، وجاءت الصورة ﴿**أعجاز نخل منقعر، هشيم المحتظر فطمسنا أعينهم... الخ**﴾ مجانسة لشدة العذاب، وجاء التلويح باليوم الآخر ﴿**بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر**﴾ تربط بين شدة العقاب الدنيوي وكون العقاب: حيث استخدم حرف (السين) وهو ذو علاقة بالساعة) من حيث كونه حرف (استقبال) والساعة هي ظاهرة (استقبالية)، مضافاً إلى ما تضمنته حرف (السين)، كما جاءت أوصاف الجحيم متجانسة مع هذا الحرف ﴿**ذوقوا مسّ سقر**﴾ وحيث جاء تكرار هذا الحرف في سائر أوصاف الساعة وأهوالها مثل (سعر) (مسّ) (يسحبون) (مستطر)... وكلّها تتجانس مع حرف الاستقبال.

إذاً: جاءت أدوات الفنّ متجانسة أيضاً مع موضوعات السورة وأهدافها، مما أدرجناها ضمن مصطلح (الوحدة الفنية) التي تتحقق ضمن الوحدة العامة للنصّ. وهذا كلّه فيما يتّصل بعنصر البناء في السورة القرآنيّة الكريمة.

(١) ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم – للمؤلف.

التفسير الموضوعي

الشيخ محمد هادي معرفة

مصطلح حديث ظهر في العصر الأخير عند ما قررت هذه المادة ضمن قسم التفسير بمعاهد الدراسات الإسلامية العليا.. غير أن لبنات هذا اللون من التفسير وعناصره الأولية كانت موجودة منذ عهد السلف وهكذا طول تاريخ التفسير.

فقد كانت الالتفاتة الى مواضيع جاءت في القرآن أو معروضة على القرآن، معهودة منذ الصدر الأول، بغية معرفة الدراسات القرآنية في مواضيعها المحورية، أو مسائل معروضة على القرآن لغرض الاستفتاء منه، في مشاكل عارضت حياة المسلمين -عامة أو خاصة- ليُستبان وجه حلها منه؛ لأن فيه دواء دائهم وشفاء أسقامهم... الأمر الذي لمسه المسلمون منذ أول يومهم...

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

وقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[2].

وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[3].

والعمدة قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن هذا القرآن هو النور المبين والحبل المتين والعروة الوثقى من استضاء به نوره الله، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله...»[5].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «عليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين والنور المبين والشفاء النافع والري الناقع، والعصمة للمستمسك،

(١) النحل: ٨٩.

(٢) الكهف: ٥٤.

(٣) الروم: ٥٨.

(٤) يونس: ٥٧.

(٥) بحار الأنوار، ج٨٩، ص٣١ عن تفسير الإمام، ص٤٥٠.

والنجاة للمتعلق... ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه: ألا إن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي، ودواء دائكم ونظم ما بينكم.. فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاءً من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والغي والضلال، فاسألوا الله به...»[٦].

وقال الإمام أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام: «إن هذا القرآن فيه مصابيح النور وشفاء الصدور..»[٧].

ومذ لمس المسلمون شفاء أدوائهم من القرآن فزعوا إليه بين آونة وأخرى يستشفون به ويستمدون منه في علاج مشاكلهم في الحياة، فحيث عرضت عارضة كادت تعرقل عليهم المسير أو تكدر عليهم صفو المعين، عمدوا الى القرآن واستجلوا منه وضح الطريق والمنهج القويم، فكان من ذا وذاك لمة من مسائل ودلائل قرآنية كانت مباحث ذوات محورية، كل مبحث يدور حول موضوع خاص، بحثاً وراء فهم أبعاده ومراميه من نص القرآن الحكيم الذي فيه تبيان كل شيء... الأمر الذي اصطلح عليه المتأخرون بالتفسير الموضوعي، أي المقتصر على البحث والفحص عن النظرة القرآنية حول موضوع أو مواضيع خاصة.. في قبال التفسير العام الباحث عن مختلف أبعاد هذا النص، اللغوية والأدبية والفقه والكلام وسائر الأبعاد مما يتعلق بنص القرآن الكريم تباعاً وفي شكل رتيب حسب ترتيب الآيات والسور.

وفي ضوء هذا البيان نستطيع تحديد التفسير الموضوعي بأنه البحث وراء الحصول على نظريات قرآنية ذات محورية خاصة بمواضيع تمس جوانب الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية.. بحثاً من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بشأن تلك المواضيع.. فهي مسائل ودلائل ذات صبغة قرآنية بحتة.. واستنتاجات مستحصلة من ذات القرآن ومن داخله بالذات..

وعليه فالبحث عن شؤون القرآن، هي مسائل ودلائل تدور حول القرآن، خارج من هذا التحديد.. كالبحث عن القراءات وعن أعاريب القرآن، والبحث عن بلاغته وإعجازه بيانه، وعن الناسخ والمنسوخ في القرآن، والبحث عن متشابهات القرآن وعن الحروف المقطعة وما شاكل. مما اصطلحوا عليه باسم «علوم القرآن» أي العلوم الباحثة عن شؤون القرآن، وليس بحثاً وراء الحصول على نظرة القرآن.. بل بحث وراء نظرات حول القرآن وعن شؤونه لا عن محتوياته ونظراته.

[التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب]

(٦) المصدر نفسه، ص٢٣-٢٤ عن نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٧٦.
(٧) المصدر نفسه، ص٣٢، رقم ٣٥.

الهائل

دلالة الفزع

د. محمد حسين الصغير

استعمل القرآن طائفة من الألفاظ، ثم اختار أصواتها بما يتناسب مع أصدائها، واستوحى دلالتها من جنس صياغتها، فكانت دالة على ذاتها بذاتها، فالفزع مثلا، والشدة، والهدة، والاشتباك، والخصام، والعنف، دلائل هادرة بالفزع الهائل والمناخ القاتل.

١. قف عند مادة صرخ في القرآن، والصرخة الصيحة الشديدة عند الفزع، والصراخ الصوت الشديد[١]. لتلمس عن كثب، وبعفوية بالغة الاستغاثة بلا مغيث، في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾[٢]. مما يوحي بأن الصراخ قد بلغ ذروته، والاضطراب قد تجاوز مداه، والصوت العالي الفظيع يصطدم بعضه ببعض، فلا أذن صاغية، ولا نجدة متوقعة، فقد وصل اليأس أقصاه، والقنوط منتهاه، فالصراخ في شدة إطباقه، وتراصف إيقاعه، من توالي الصاد والطاء، وتقاطر الراء والخاء، والترنم بالواو والنون يمثل لك رنة هذا الاصطراخ المدوي «والاصطراخ الصياح والنداء والاستغاثة: افتعال من الصراخ قلبت التاء طاء لأجل الصاد الساكنة قبلها، وإنما نفعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء والإطباق، ويوافق التاء في المخرج»[٣]، والإصراخ هو الإغاثة، وتلبية الصارخ، وقوله تعالى: ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾[٤]. تعني البراءة المتناهية، والإحباط التام، والصوت المجلجل في الدفع، فلا يغني بعضهم عن بعض شيئا، ولا ينجي أحدهم الآخر من عذاب الله، ولا يغيثه مما نزل به، فلا إنقاذ ولا خلاص ولا صريخ من هذه الهوة، وتلك النازلة، فلا الشيطان بمغيثهم، ولا هم بمغيثيه، والصريخ في اللغة يعني

(١) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ٤/ ٢.
(٢) فاطر: ٣٧.
(٣) الطبرسي، مجمع البيان: ٤/ ٤١٠.
(٤) إبراهيم: ٢٢.

المغيث، والمستغيث، فهو من الأضداد، وفي المثل: عبد صريخه أمة، أي ناصره أذل منه[٥]. وقد قال تعالى: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾[٦]. فيا له من موقف خاسر، وجهد بائر، فلا سماع حتى لصوت الاستغاثة، ولا إجارة مما وقعوا فيه، والاستصراخ الإغاثة، واستصرخ الإنسان إذا أتاه الصارخ، وهو الصوت يعلمه بأمر حادث ليستعين به[٧]، قال تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾[٨]. طلب للنجدة في فزع، ومحاولة للإنقاذ في رهب، والاستعانة على العدو بما يردعه عن الإيقاع به، وما ذلك إلا نتيجة خوف نازل، وفزع متواصل، وتشبث بالخلاص.

٢. وما يستوحى من شدة اللفظ في مادة «صرخ» يستوحى بإيقاع مقارب من قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾[٩]. لتبرز «متشاكسون» وهي تعبر لغة عن المخاصمة والعناد والجدل في أخذ ورد لا يستقران، وقد تعطي معناها الكلمة: متخاصمون، ولكن المثل القرآني لم يستعملها حفاظا على الدلالة الصوتية التي أعطت معنى النزاع المستمر، والجدل القائم، وقد جمعت في هذه الكلمة حروف التفشي والصفير في الشين والسين تعاقبا، تتخللهما الكاف من وسط الحلق، والواو والنون للمد والترنم، والتأثر بالحالة، فأعطت هذه الحروف مجتمعة نغما موسيقيا خاصا حملها أكثر من معنى الخصومة والجدل والنقاش بما أكسبها أزيزا في الأذن، يبلغ به السامع أن الخصام ذو خصوصية بلغت درجة الفورة، والعنف والفزع من جهة، كما أحيط السمع بجرس مهموس معين ذي نبرات تؤثر في الحس والوجدان من جهة أخرى.

٣. وتأمل مادة «كبّ» في القرآن، وهي تعني إسقاط الشيء على وجهه كما في قوله تعالى: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾[١٠]. فلا إنقاذ ولا خلاص ولا إخراج، والوجه أشرف مواضع الجسد، وهو يهوي بشدة فكيف بباقي البدن، والإكباب جعل وجهه مكبوبا على العمل، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى﴾[١١]، والكبكبة تدهور الشيء في هوة[١٢] قال تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾[١٣]، وهذه الصيغة قد حملت اللفظ في تكرار صوتها، زيادة معنى التدهور لما أفاده الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ) بقوله: «إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى»[١٤]، وقال العلامة الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ): «كرر الكب دلالة على الشدة»[١٥]، ومن هنا نفيد أن دلالة الفزع فيما تقدم من ألفاظ أريدت بحد ذاتها لتهويل الأمر، وتفخيم الدلالة، وهذا أمر مطرد في القرآن، وقد يمثله قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[١٦]. والمادة نفسها قد توحي بشدة الإتيان والتوقع عند النوائب.

[الصوت اللغوي في القران]

(٥) ابن منظور، لسان العرب: ٤/ ٣.
(٦) يس: ٣٤.
(٧) ابن منظور، لسان العرب: ٤/ ٣.
(٨) القصص: ١٨.
(٩) الزمر: ٢٩.
(١٠) النمل: ٩٠.
(١١) الملك: ٢٢.
(١٢) الراغب، المفردات: ٤٢٠.
(١٣) الشعراء: ٩٤.
(١٤) الزمخشري، الكشاف: ١/ ٤١.
(١٥) الطيبي، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان: ٤٧٤.
(١٦) طه: ٧٨.

وقفة التدبر

الشيخ محمد جواد مغنية

﴿وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

اختلفوا: ما هو المراد بالعصر، وفي ذلك أقوال: الأول ان الله سبحانه أقسم بصلاة العصر لا بالعصر نفسه، فهو من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أما الغرض من القسم بصلاة العصر فهو التنبيه على فضلها كما في الآية ٢٣٨ من سورة البقرة﴿**حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ والصَّلاةِ الْوُسْطى**﴾ وهذا بعيد عن الفهم العام.. القول الثاني ان المراد بالعصر عهد الرسول وهذا أبعد من الأول.. والقول الثالث ان المراد به الطرف الأخير من النهار، وانه تعالى أقسم بآخر النهار في هذه الآية ﴿**والشَّمْسِ وضُحاها**﴾ كما أقسم بأوله في الآية الاولى من سورة الشمس وهذا القول غير بعيد عن دلالة اللفظ، وأقرب منه القول الرابع وهو ان المراد بالعصر الدهر أي الزمن الذي تقع ﴿**إِنَّ الإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ فيه الحوادث والأفعال، والسياق يومئ إلى ذلك فإن قوله تعالى بلا فصل يشعر بأن الخاسر هو الإنسان وليس الزمان؛ لأنه لا يعد شيئا في نفسه يخسر أو يربح، ويذم أو يمدح! قال الشيخ محمد عبده: كان من عادة العرب ان يجتمعوا وقت العصر ويتذاكروا في شؤونهم، وقد يؤدي حديثهم إلى ما يكرهون، فيتوهم الناس ان هذا الوقت مذموم، فأقسم الله به لينبه على ان الزمان لا يذم، وانما هو ظرف للحسنات والسيئات ولشؤون الله الجليلة من خلق ورزق وإعزاز وإذلال، وانما يذم ما فيه من الأفعال المقوتة.

[تفسير الكاشف]

منهج التثبّت في شأن الدين

السيد محمد باقر السيستاني

توحيد الله في العبادة

الشيخ محمد جواد البلاغي

نقض العلم الحديث لدعوى أزلية المادة

الشيخ محمد حسن آل ياسين

منهج التثبت في شأن الدين

(الحلقة الثانية: مضمون الدين)

السيد محمد باقر السيستاني

١. إن الدين -بالمعنى الذي ننظر إليه تمهيدا للأبحاث القادمة- رؤية كونية تبتني على:

أولا: وجود خالق لهذا الكون وكائناته معنيّ بها عامة وبالإنسان خاصة؛ من خلال رسالةٍ بعثها إليه.

ثانياً: إن الإنسان ليس كائناً مادياً يفنى بالممات على حد سائر الكائنات الحية الأخرى، بل هو كائن حيّ خالد، وما الممات إلا مرحلة من مراحل وجوده تنفصل فيها روحه عن بدنه لتعود إليه في موعد لاحق، وإن سعادته وشقاءه حينذاك ترتبط بأعماله في الحياة الدنيا؛ ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾.

وفي مقابل هذه الرؤية الكونية رؤيتان أخريان:

(**الرؤية الأولى**): فهي تجزم بأن الإنسان متروك لحاله، لا عناية في نشأته، ولا بقاء له بعد مماته، ولا يتجاوز أثر أعماله ما يلقاه في هذه الحياة من آثار نفسه وسلوكه، أو ما يتلقاه من ردود أفعال الآخرين الإيجابية والسلبية، ولا وجود لواقع وراء ذلك، هذا في شأن الإنسان، وأما في شأن خالق الوجود والكون والحياة فهذه الرؤية بين اتجاهين:

الاتجاه الأول: وهو المعروف بالاتجاه الإلحادي:

ينكر أصل وجود الخالق، ويزعم أن المادة أزلية، وقد أدت تقلباتها إلى وجود هذا الكون وهذه الحياة بكائناتها كلها في فترة زمنية طويلة، كما ورد عن بعض الكفار في القرآن الكريم: ﴿**وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾[1].

الاتجاه الثاني وهو المعروف بالاتجاه الربوبي[2]:

يعترف بوجود خالق غير مادي لهذه الحياة، ولكن يرى أنه ليس معنيا بالإنسان عناية توجيه ورعاية وتفاعل وإشفاق، وإنما خلق هذا الإنسان -على حد ما يُفترض في سائر الكائنات الحية وغير الحية الأخرى- على سُننٍ وقوانين تجري عليها، فهي متروكة لتلك السنن.

(الرؤية الثانية)[3] وهي المعروفة باللاأدريّة: تتبنى التوقف والتردد في أمر حقيقة الحياة ونشأتها وموقع الإنسان فيها، لا تجزم بنفي أو إثبات؛ ولذلك فهي تحتمل أن تصح الرؤية الدينية كما تحتمل أن تصح الرؤية الإلحادية أو الربوبية.

وقد يظن في بدء النظر أن هذه الرؤية (اللاأدرية) من حيث النتيجة العملية تنتج نتيجة الرؤية السابقة أي الاتجاه الإلحادي والربوبي؛ لأنه لا يترتب أثر على مجرد الشك والاحتمال، ولكن سيأتي أن الأمر ليس كذلك، بل هذه الرؤية ملزمة بترتيب آثار

(١) الجاثية: ٢٤.

(٢) في تسمية هذا الاتجاه بالربوبي مسامحة؛ إذ ليس هناك عناية تربوية بحسب هذا الاتجاه من الخالق تجاه الإنسان، فالأولى أن يسمّى بالاتجاه الالوهي مثلا .

(٣) تسمية هذا الموقف بالرؤية مجرد توسع مجاراة ومشاكلة مع الموقفين الأولين؛ وإلا فإن هذا الموقف لا يدعي إبصار شيء ورؤيته، بل هو متردد في حقيقة الحياة والإنسان.

الرؤية الدينية – من الاعتناء باحتمال وجود خالق لهذه الحياة معنيّ بالإنسان، واحتمال أن تكون أعمال الإنسان مبادئ سعادة، أو شقاء في عالم آخر –؛ لأن أهمية المحتمل توجب فاعلية الاحتمال عقلاً وفق معادلة عقلية بديهية سيأتي توضيحها.

٢. **ولهذه الرؤى (الرؤية الدينية، والرؤيتين الآخريين) آثار عميقة في حياة الإنسان من حيث توجهاته ودوافعه وتشريعاته، فالحياة الإنسانية وفق الرؤية الدينية حياة هادفة، خُيّر فيها الإنسان بين طريقين:**

طريق المعرفة والفضيلة، وطريق الجهل والرذيلة، ويكون لأعمال الإنسان بعدٌ عميقٌ في بناء ذاته وتكوينه على وجه سليم، فيتبوّأ كل امرئٍ محله غداً، ولكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت، فمَن عمل شراً لم يسلم عن أثره ومن عمل خيراً لم يعدم أثره، ومَن عانى عناءً فرض عليه احتسب له ذلك، ويكون الله سبحانه ظهيراً للإنسان إنْ آمن به وصدقه وتولّاه، والمرء راحل إلى حياة أخرى؛ فهي وسيلة وليست غاية.

وأما على الرؤية الأخرى فإن هذه الحياة هي الغاية، والأمر فيها أشبه بالمقامرة؛ فمَن استطاع الوصول إلى الملذات ولو بالجناية على الآخرين فيما لو تمكن من الإفلات من العقوبة الدنيوية سعد فيها ومَن غلب فيها وابتلى شقي بها، ويرى بعض أصحاب هذه الرؤية أن الإنسان ليس مختاراً في تصرفاته، بل يساق إليها سوقاً أسوة بسائر الحيوانات.

٣. من الضروري تفصيل معالم الرؤية الدينية وأهمّ خطوطها العريضة؛ ليتسنى البناء عليها في الأبحاث المقبلة في تحديد الاهتمام اللائق بها، والتثبت المناسب منها.(٤)

إن للرؤية الدينية جوانب ثلاثاً: معرفية وتكوينية وتشريعية.. **الجانب المعرفي للرؤية الدينية**: إنّ الرؤية المعرفية الدينية تذعن بالإدراك العقلي للإنسان في ثوابته ومساحاته التي يكون حكم العقل فيها واضحاً لا لبس فيه، ممّا يمكن أن يدركه أي إنسان سليم الفكر. ولكنها ترى رغم ذلك عدم استغناء الإنسان في معرفته الكونية عن إسعافٍ معرفي؛ لسببين: (أحدهما): إن الإنسان وإن كان يمكنه – من خلال بعض مشاعره النفسية وتأمله في عالم المادة وروائعها ونظمها – استكشاف أثر من كائن غيبي صانع للعالم، لكنّ عموم الناس لا يكتشف ذلك إلا بصعوبة، أو بشكل غير جازم، أو على وجه غامض يختلط بالأوهام والخرافات كما وقع في عبادة الكواكب والنجوم والأشخاص والأصنام. و(الآخر): إن بعض الحقائق الخطيرة والمهمة يتعذر الانتقال إليها أصلاً، كما هو الحال في: النشأة الأخرى للكون، وخلود الإنسان وعودته إلى الحياة.

والإسعاف المعرفي للإنسان على أنحاء أربعة:

(الأول): تأكيد ما يجده الإنسان بعقله في مقابل

(٤) ومن شأن هذا التوضيح أن يضع كل شيء موضعه فيميز القواعد والأصول الأساسية والقطعية للدين عمّا يقع في مستوى التفصيل أو التطبيق أو الاجتهاد –؛ حتّى يتبيّن الدين على وجه واضح وناصع ولا يضيع بين التفاصيل والتطبيقات والاجتهادات. كما ولا بد من فهم حقيقة الدين ومضمونه ولو بعنوان النظرية التي لا بد من نفيها أو إثباتها.

الخرافات والأوهام، مثل: ما ورد في كتاب الله من التأكيد على قضاء العقل بعدم صلاحية الأصنام والكواكب والأشخاص للألوهية، فجاء في شأن الأصنام التنبيه على أنها صنيعة يد الإنسان، قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ والله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٥]، وورد في شأن تأليه عيسى بن مريم عليه السلام قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٦] إشارة إلى أن من يكون بهذه الصفة لا يحتمل - بإدراك واضح العقل - أن يكون إلهاً، وكذا ما ورد في شأن الكواكب من التنبيه على أنها كائنات مسخّرة تظهر تارةً وتأفل تارة أخرى؛ فلا يعقل أن تكون هي الخالق للكون والكائنات والمدبر لها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[٧]

(الثاني): تنبيه الإنسان وإيقاظه على ما يجده ويشهده من الأمور، ولكن لا يعيه حقّ وعيه ولا ذهنه لدلالته وغايته، فإذا نُبّه عليه استيقظ من غفلته وانتقل ذهنه لمدلولاته، ولربما تعجّب من نفسه؛ كيف رآه ولم يلتفت إلى دلالته؟ ومن ذلك ما ورد في القرآن الكريم من التنبيه على دلالة الخلق ونظام الكون على الخالق، فهذا الشيء إذا وعاه الإنسان بنفسه لم يحتج إلى إسعاف، ولكنه قد يغفل عنه ولا ينتقل إلى دلالته، فيحتاج إلى من ينبهه عليه[٨].

(الثالث): إعلام الإنسان بما يجهله مما يحتاج إليه من شؤون ما وراء الطبيعة، مثل الدار الاخرة؛ إذ من الصعوبة أن ينتقل الإنسان بوضوح وجزم إلى وجود المعاد والنشأة أخرى لولا إخبار الوحي بذلك[٩].

(الرابع): إعلام الإنسان بعدم استطاعته التوغّل بفكره في أمور ما وراء الطبيعة؛ لعدم وجود أدوات واضحة لديه في شأنها، وعدم صحة مقايسة ذلك العالم بعالم المادة، وإذا ما امعن الإنسان في التفكير حول ما وراء الطبيعة والتنظير فيه والبناء عليه لم ينته إلى نتيجة واضحة، بل ينتهي إلى الخرافات الباطلة، كإيمان اليونانيين بوجود (عقول عشرة) متوسطة بين الخالق وعالم المادة، واعتقاد بعضهم

(٥) الصافات: ٩٥، ٩٦.
(٦) المائدة: ٧٥.
(٧) الأنعام: ٧٦-٧٨.

(٨) والسر في غفلة الإنسان عن مدلولات بعض الأمور على ما سيأتي ذكره في قواعد التثبت الإدراكي في حلقات قادمة عوامل نفسية من أهمها انطفاء الشحنة الدلالية للشيء على ما وراءه بسبب الاعتياد عليه؛ فإنّ الإنسان إذا اعتاد شيئاً غفل عن دلالته..

(٩) ولربما كان في مشاعر الإنسان ما قد يكون ممهداً لكي يقع مثل هذا النبأ موقع القبول في نفسه، رغم بُعده عن مداركه، ومن تلك المشاعر: حبّه للبقاء ورغبته في الخلود، إلا أن من الصعوبة على المرء أن ينضج مثل هذا ويبلوره إلى درجة الإدراك التامّ والواضح.

بوجود كائن أعلى لكل نوع من أنواع الكائنات يدبّر أحوالها سمُّوها بـ(أرباب الأنواع)، أو اعتقاد العرب أن الملائكة بنات، وما أشبه ذلك.

وبذلك يتّضح أن: الرؤية المعرفية الدينية تحترم عقل الإنسان في ثوابته ومحكماته التي تكون قريبة المأخذ من مداركه، إلا أن إدراك الإنسان لا يفي بنظر الدين لكشف المشهد الكامل للكون وأبعاده وما يتضمنه من حقائق خطيرة، خلافاً لما تعتقده بعض الاتجاهات الفكرية الفلسفية في أوساط المسلمين ممن يرون أن بإمكان الإنسان أن يصل إلى تمام مساحة الكون وخباياه بالتأمل والبحث. وما تطرح من الاستدلالات في هذا الصدد -مما يُظن أنها براهين صائبة- ممن يدّعي قدرته على إدراك كل شيء حتى ما لم يكن قريباً لإدراك الإنسان في مأخذه؛ لا تؤدي إلى نتائج صحيحة، وهي في واقعها استحسانات واستبعادات ذهنية ناشئة من ميول أو غرابة، تُصاغ بصورة فنية؛ فتُلقّى برهاناً.

وتفريعاً على ما تقدم يمكن القول: إن الرؤية المعرفية الدينية تعتمد على دعامتين: التعقّل والتعبّد، أما التعقّل فيكون في مساحة الإدراك العقلي الواضح، وأما التعبّد فهو فيما وراء المدركات الواضحة؛ من القضايا التي تقع في المساحة الرمادية غير الواضحة عند العقل الإنساني. فمن توسّع في التعقل في غير المساحة التي يكون من شأن العقل إدراكها وقع في الوهم والاشتباه، ومن توسع في التعبد إلى المساحة التي من شأن العقل إدراكها وقع في الخرافة، ومن أخذ بكلٍ في موضعه وأحلّه محلّه فقد أصاب.

وليس في الاعتماد على التعبد في مجالاته تنقيص من شأن الإدراك الإنساني، بل هو تعامل واقعي ينبه الإنسان على جهات القصور في أدواته الإدراكية. وإلى هذا المبدأ تشير نصوص دينية عديدة، منها: ما في سورة آل عمران من تقسيم الآيات إلى محكمة ومتشابهة: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[10] والمراد بالمحكمات هي الآيات الناصعة التي لا مجال للشبهة في حقانيتها بوجوه من الاستبعاد الأوّلي، والمراد بالمتشابهات الآيات التي يوجد فيها مجال للاستبعاد، مثل: الإنباء بالبعث والقيامة، حيث كان يستبعد على أساس: ﴿**وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**﴾[11] والمراد بالتأويل هو المُخبر به الذي يتبيّن به صدق الأخبار كما قال تعالى: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ**

(١٠) آل عمران: ٧.
(١١) الإسراء: ٤٩.

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[12][13].

طريقة الإسعاف الإلهي للخلق:

لقد اصطفى الله تعالى لتبليغ رسالته إلى خلقه أشخاصاً من الناس أنفسهم ممّن اتصف بسلامة العقل والإدراك والاعتدال في التصرفات وصفاء الفطرة ومحبة الحقيقة والفضيلة والثبات على التحديات والرأفة بالناس، ولم يعهد منهم ما يخدش السلامة النفسية ولا الطموح الاجتماعي ولا الدهاء والمكر والحيلة والتلبيس، فأوحى إليهم وحياً بيّناً لا يشبه في خصائصه وصفاته في كمّه وكيفه - بما يمكن أن يتخيَّله الإنسان على سبيل الهلاوس العابرة، أو من جهة عدم السلامة النفسية.

ثم دعّمه تعالى بخوارق تقتضي -في كمّها وكيفها- قدرات فوق بشرية، لم يعهد الإنسان مثلها في التصرفات التي رآها الناس من السحرة والكهان وأمثالهم، فهي تتفاوت عن ذلك كله تفاوتاً نوعياً. على أن من اختارهم للرسالة كانوا أشخاصاً معروفين في المجتمع، علم الناس سلوكيّاتهم وقدراتهم واتجاهاتهم، وقد لبثوا بين ظهرانيّهم دهراً فلم يشهد عليهم أثر التوجه إلى الادعاءات الشاذة والتصرفات النادرة.

وقد ظهرت حجتهم في مجتمعات عرفت أهل الادعاءات الباطلة فلم يكن لتنطلي عليهم ما يكون من قبيلها؛ وذلك لكي تقوم الحجة البالغة على الخلق بصدق مدعي الرسالة.

وإذا انقضت فترة توجب انطماس وضوح الرسالة تدريجياً بعث الله سبحانه رسولاً آخر لإقامة الحجة ورفع اللبس والشبهة، فكان آخر رسله النبي محمدﷺ الذي يسّر سبحانه حفظ رسالته في كتابه الكريم الذي أنزله لجميع خلقه، حفظاً تاريخياً بيّناً لا لبس فيه.

وقد اختار سبحانه لإرسال رسله المجتمعات التي كانت أكثر اشتمالاً على الغلوّ والاستكبار والظلم؛ لتصل إلى سائر المجتمعات الأخرى وفق السنن العامّة، وبذلك كان هؤلاء الرسل الوسطاء بين الخالق والإنسان؛ يوضّحون له معالم الحياة وآفاقها من لدن خالقها عبر توجيهه إلى مسار المعرفة والتعقّل والحكمة والعدل والزكاة كما قال عز من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[14]، وقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[15].

(١٢) الأعراف: ٥٣.

(١٣) ويلاحظ أن التصنيف الرباعي لإسعاف الدين للمعرفة الإنسانية كما يجري في شأن الرؤية الكونية على ما تقدّم تفصيله، فهو يجري أيضاً في شأن الرؤية تجاه الإنسان والتشريع الصائب في شأنه..

(١٤) الجمعة: ٢.

(١٥) الحديد/ ٢٥.

نقض العلم الحديث لدعوى أزلية المادة

الشيخ محمد حسن آل ياسين

اننا بعد أن آمنا- عن يقين- بأن هذا الكون بكل ما فيه ومن فيه موجود ماثل أمامنا، وانه قد وجد في وقت معين من الاوقات المغرقة في القدم، وأنه لا يمكن ان يكون العدم بما هو عدم موجدا له، بل لا بد ان يكون له موجد خلقه بعد أن لم يكن، فمن هو هذا الموجد؟

المادة.. أم الله تعالى؟

ونسأل أولا: كيف وجدت المادة ومن أوجدها؟.. ويقول الماديون في الاجابة على هذا السؤال: ان المادة أزلية موجودة منذ الازل فليست بحاجة الى خلق وخالق.

وأصبح نقض هذه الدعوى- بوسيلة العلم- سهلا يسيرا؛ لأن العلم قد أثبت وثبت لديه بكل وضوح ان هذا الكون لا يمكن ان يكون أزليا، فهناك انتقال حراري مستمر من الاجسام الحارة الى الاجسام الباردة، ولا يمكن ان يحدث العكس بقوة ذاتية، بحيث تعود الحرارة فترتد من الاجسام الباردة الى الاجسام الحارة، ومعنى ذلك ان الكون يتجه الى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الاجسام وينضب فيها معين الطاقة، ويومئذ لن تكون

هنالك عمليات كيميائية او طبيعية، ولن يكون هناك أثر للحياة نفسها في هذا الكون. ولما كانت الحياة لا تزال قائمة ولا تزال العمليات الكيميائية والطبيعية تسير في طريقها فإننا نستطيع أن نستنتج أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا والا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط في الوجود.

ويستخدم في الوقت الحاضر عدد من الطرق المختلفة لتقدير عمر الارض بدرجات متفاوتة من الدقة، ولكن نتائج هذه الطرق متقاربة الى حد كبير، وهي تشير الى ان الكون قد نشأ منذ خمسة بلايين سنة، وعلى ذلك فان هذا الكون ليس بأزلي، اذ لو كان أزليا لما بقيت فيه أي عناصر اشعاعية، ويتفق هذا الرأي مع القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية.

أما الرأي الذي يقول بأن الكون دوري أي انه ينكمش ثم يتمدد ثم يعود فينكمش من جديد فانه رأي لم يقم لدى العلماء على صحته دليل، ولا يمكن أن يعتبر رأيا علميا، وتؤيد قوانين الديناميكا الحرارية والادلة الفلكية والجيولوجية الكلمة القائلة: «لقد خلق الله في البداية السماوات والارض».

ان الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة والارض الغنية بأنواع الاحياء دليل واضح على أن اصل الكون او أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة، فهو- اذن- حدث من الاحداث.

و تدلنا الكيمياء على ان بعض المواد سائرة في سبيلها نحو الزوال أو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة، وعلى ذلك فان المادة ليست أبدية، ومعنى ذلك أيضا، انها ليست ازلية، اذ ان لها بداية. وتدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على ان بداية المادة لم تكن بطيئة ولا تدريجية، بل وجدت بصورة فجائية، وتستطيع العلوم ان تحدد لنا الوقت الذي نشأت فيه هذه المواد، وعلى ذلك فان هذا العالم المادي لا بد ان يكون مخلوقا، وهو منذ خلق يخضع لقوانين وسنن كونية محددة ليس لعنصر المصادفة بينها مكان.

و منذ مائة سنة تقريبا رتب العالم الروسي «ماندليف» العناصر الكيميائية تبعا لتزايد اوزانها الذرية ترتيبا دوريا، وقد وجد ان العناصر التي تقع في قسم واحد تؤلف فصيلة واحدة ويكون لها خواص متشابهة، فهل يمكن ارجاع ذلك الى مجرد المصادفة؟

ان اكتشاف ماندليف لا يطلق عليه اسم «المصادفة الدورية» ولكنه يسمى «القانون الدوري».

وهل يمكن ان نفسر على اساس المصادفة ما وصفه وتوصل إليه العلماء من تفاعل ذرات عنصر «أ» مع ذرات عنصر «ب» وعدم تفاعلها مع عنصر «ج»؟

كلا، انهم قد فسروا ذلك على اساس ان هنالك نوعاً من الميل او الجاذبية بين جميع ذرات عنصر «أ» وجميع ذرات عنصر «ب»، ولكن هذا الميل والجاذبية منعدم بين ذرات عنصر «أ» وذرات عنصر «ج».

وقد عرف العلماء كذلك ان سرعة التفاعل بين ذرات المعادن القلوية والماء مثلا تزداد بازدياد أوزانها الذرية، بينما تسلك عناصر الفصيلة الهالوجينية

سلوكا مناقضا لهذا السلوك كل المناقضة، ولا يعرف احد سبب هذا التناقض، ومع ذلك فان احدا لم يرجع ذلك الى محض المصادفة، او يظن انه ربما يتعدل سلوك هذه العناصر بعد شهر او شهرين، او تبعا لاختلاف الزمان او المكان، او يخطر بباله ان هذه الذرات ربما لا تتفاعل بنفس الطريقة او بطريقة عكسية او طريقة عشوائية.

و قد اثبت اكتشاف تركيب الذرة أن التفاعلات الكيميائية التي نشاهدها والخواص التي نلاحظها ترجع الى وجود قوانين خاصة وليست محض مصادفة عمياء.

ولكي نأخذ فكرة واضحة عن ضآلة الذرة كان لا بد ان نتصور أنه لو تراصت عشرة ملايين ذرة من ذرات الهيدروجين في صف لما بلغ طوله مليمترا واحدا.

و لو كنت عطشانَ وتجرعت لترا من الماء فان ما تجرعته يحتوي على عدد من الذرات يساوي عدد حبيبات الرمل التي تغطي سطح الكرة الارضية كلها بما في ذلك المحيطات والبحار.

و مع كل هذه الضآلة فإن الذرة كون قائم بذاته يتركب من احجار غاية في الصغر، أي أصغر بكثير من الذرة نفسها.

ان الذرة تتكون من نواة، والنواة مبنية من احجار ادق، بعضها بروتونات وبعضها نيوترونات، وتدور حولها على مسافة بعيدة نسبيا الألكترونات.

وفي داخل هذا البناء الدقيق الرائع اكتشف العلماء جسيمات كثيرة وصل عددها حتى الآن الى ثلاثين نوعا كان منها ما اسلفنا ذكره اي البروتون والنيوترون والألكترون.

وقد قدر العلماء عدد الدورات التي يدورها الألكترون حول نواته سبعة آلاف مليون مليون دورة في الثانية الواحدة.

وبين بعض الذرات وبعض حب وتآلف وتجاذب وترابط، وبين بعض الذرات وبعض بغض وتنافر، والذي يجمع بين الذرات او يفرق هو قانون الذرات نفسها او قانون الالكترونات الخارجية، وهي اروع وادق من قوانين الزواج والطلاق عند الانسان.

ان ملح الطعام الذي نتناوله، أصله ذرتان اجتمعتا، ولو لا اجتماعهما في جزأي واحد لأصبح كل منهما شريرا مدمرا مخربا لاجسام الاحياء فـ (الكلوريد) غاز اذا استنشقه الانسان او اي كائن حي مات، والصوديوم عنصر رخو لو لامس الماء لارتفعت منه السنة الدخان واللهب واحرق الكائن الحي الذي يحويه. ولكن لقاء السام والمحرق واجتماعهما حَوَّلهما الى ملح لا هو حارق ولا هو سام.. وهكذا الامر في ذرات الماء الثلاثة المتحدة.

واذا كان التشريع الاسلامي قد أباح للرجل الزواج بواحدة ومثنى وثلاث ورباع فكذلك الحال في قانون ارتباط الذرات، فالكلور يرتبط بالصوديوم في جزأين ليعطينا ملح الطعام فهو ارتباط بواحدة، والاوكسجين يرتبط بذرتين من الهيدروجين ليعطي ماء. والنتروجين يرتبط بثلاث ذرات من الهيدروجين ليعطي الامونيا، والكاربون يرتبط بأربعة ذرات من

الهيدروجين ليعطي غاز الميثان.

وهناك بعض العناصر تعيش ذراتها فرادى في حالة عزوبة دائمة، ومنها غاز النيون والرادون.

واذا انتقلنا ونحن نتحدث عن الروابط الذرية من عالم الذرات الى عالم الجزيئات فإن تقدير عدد انواع الجزيئات الناتجة من الارتباط بين ذرات العناصر الموجودة في ارضنا امر خارج عن التصور، ويكفي ان نمسك بأي معجم لغوي لنرى عدد الكلمات التي يمكن اشتقاقها من الحروف الثمانية والعشرين التي تكوّن لغتنا العربية، ولنعرف من ثم مدى الاشتقاقات الممكنة من قرابة مائة عنصر. حقا انه رقم ضخم فهو ملايين الى جنب ملايين.

وكمثال على ذلك نذكر ان ارتباط ذرات الكاربون والاوكسجين والهيدروجين فقط ينتج لنا اكثر من مليون مركب كيميائي، وكل له نظام خاص في ترتيب ذراته.

ويقدر بعض العلماء ان ما في جسم الانسان من انواع البروتينات المختلفة فقط ما يربو عددها على عشرات الالوف من الموديلات، ان لم تكن مائة الف من الانواع، والبروتين هنا لا يتكون الا من كاربون وهيدروجين واوكسجين ونيتروجين وقد يكون معها فوسفور او كبريت، وقد لا يكون، وهكذا تتجلى لنا جزئيات الحياة، وهكذا تدور وتجري وتتحد وتنفصل، والدوران والاتحاد والانفصال تسير كلها على حسب مقادير معلومة وخطوات مرسومة، لا ارتجال فيها ولا فوضى، وانما لكل حالة قانون صارم ونظام حاكم.

فهل يتصور عاقل مفكر او يعتقد ان المادة المجردة من العقل والحكمة قد اوجدت نفسها بنفسها بمحض المصادفة؟- او انها هي التي اوجدت هذا النظام وتلك القوانين ثم فرضته على نفسها؟! لا شك ان الجواب سوف يكون سلبيا، بل ان المادة عند ما تتحول الى طاقة او تتحول الطاقة الى مادة فان كل ذلك يتم طبقا لقوانين معينة، والمادة الناتجة تخضع لنفس القوانين التي تخضع لها المادة المعروفة التي وجدت قبلها.

واذا كان هذا العالم المادي عاجزا عن ان يخلق نفسه او يحدد القوانين التي يخضع لها فلا بد ان يكون الخلق قد تم بقدرة كائن غير مادي.

ولقد أيدت دراسة الحرارة هذه الآراء وساعدتنا على التمييز بين الطاقة الميسورة والطاقة غير الميسورة، وقد وجد أنه عند حدوث اي تغيرات حرارية فإن جزءاً معيناً من الطاقة الميسورة يتحول الى طاقة غير ميسورة، وانه لا سبيل الى ان يسير هذا التحول في الطبيعة بطريقة عكسية، وهذا هو القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية.

ولما كانت المادة حادثة غير ازلية- كما اسلفنا- فلا بد لها من محدث؛ لان الشيء لا يمكن ان يوجد من نفسه او يوجد نفسه بنفسه، بل ذلك محال عقلا.

واذن.. فان الله تعالى هو خالق المادة وموجدها بلا ريب.

[أصول الدين]

توحيد في العبادة

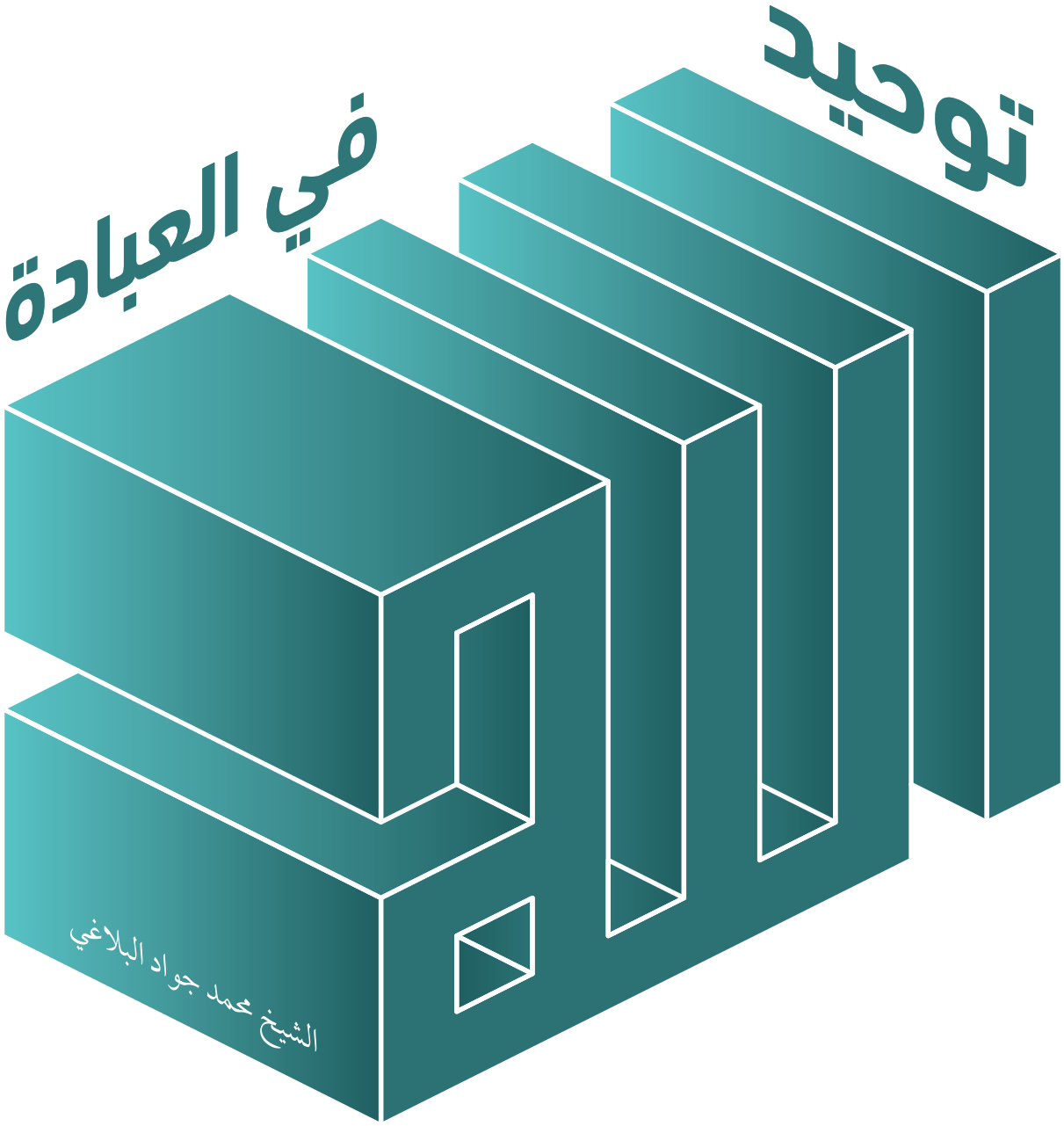

اعلم أنّ من ضروريّات الدين، والمتّفق عليه بين جميع طبقات المسلمين، بل من أعظم أركان أصول الدين: اختصاص العبادة بالله رب العالمين. فلا يستحقّها غيره، ولا يجوز إيقاعها لغيره، ومن عبد غيره فهو كافرٌ مشرك، سواءً عَبَدَ الأصنامَ، أم عبد أشرف الملائكة، أم أفضل الأنام. وهذا لا يرتاب فيه أحدٌ ممّن عرف دين الإسلام.

وكيف يرتاب؟! وهو يقرأ في كل يوم عشر مرّات: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]. ويقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[2]، ويقرأ في سورة يوسف: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[3]، ويقرأ في سورة النحل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[4]، ويقرأ في سورة التوبة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[5]، ويقرأ في سورة البقرة: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[6]، ويقرأ في سورة الأعراف: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[7] -إلى قوله عزّ من قائل:- ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ﴾[8]، ويقرأ في [سورة] الزمر: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[9]، ويقرأ فيها: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[10]، ويقرأ فيها: ﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾[11]، ويقرأ في سورة النساء: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[12]، ويقرأ في سورة هود: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[13]، ويقرأ في سورة العنكبوت: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[14] إلى غير ذلك من الآيات الفرقانيّة، والأحاديث المتواترة[15].

لكنّ العبادة كما هو المفسّر في لسان المفسّرين، وأهل العربيّة، وعلماء الإسلام: غاية الخضوع؛ كالسجود، والركوع، ووضع الخدّ على التراب والرماد تواضعاً، وأشباه

(١) الفاتحة: ٥.
(٢) الكافرون: ١ - ٦.
(٣) يوسف: ٤٠.
(٤) النحل: ٣٥.
(٥) التوبة: ٣١.
(٦) البقرة: ١٣٣.
(٧) الأعراف: ٦٥.
(٨) الأعراف: ٧٠.
(٩) الزمر: ٣.
(١٠) الزمر: ٦٥، ٦٦.
(١١) الزمر: ١٤.
(١٢) النساء: ٣٦.
(١٣) هود: ٢.
(١٤) العنكبوت: ٥٦.
(١٥) انظر ذلك في تفسير الآيات الكريمة المتقدّمة -على سبيل المثال- وغيرها في مختلف التفاسير، ولاحظ كتاب «التوحيد» للشيخ الصدوق، والكافي ١/ ٥٧ - ١٢٧ كتاب التوحيد.

ذلك، كما يفعله عبّاد الأصنام لأصنامهم[١٦].

وأمّا زيارة القبور والتمسّح بها وتقبيلها والتبرّك بها، فليس من ذلك في شيء كما هو واضحٌ، بل ليس فيها شيء من الخضوع فضلاً عن كونها غاية الخضوع.

مع أنّ مطلق الخضوع كما عرفت ليس بعبادة، والّا لكان جميع الناس مشركين حتّى الوهّابيّين! فإنّهم يخضعون للرؤساء والأمراء والكبراء بعض الخضوع، ويخضع الأبناء للآباء، والخدم للمخدومين، والعبيد لاسيادهم، وكلّ طبقة من طبقات الناس للّتي فوقها، فيخضعون إليهم بعض الخضوع، ويتواضعون لهم بعض التواضع.

هذا، وقد قال الله عزّ من قائل في تعليم الحكمة: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾[١٧].

أترى الله حين أمر بالخضوع للوالدين أمر بعبادتهما؟!

ويقول سبحانه: ﴿**لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ**﴾[١٨] إلى آخرها.

أليس هذا خضوعاً وتواضعاً؟!.. أترى الله سبحانه أمر بعبادة نبيّة؟!.. أوليس التواضع من الأخلاق الجميلة الزكيّة، وهو متضمّن لشيء من الخضوع لا محالة؟!.. أوترى الله نهى أن يصنع بأنبيائه وأوليائه نظير ما أمر أن يصنع بسائر المسلمين من التواضع والخضوع؟!.. وقد كان الصحابة يتواضعون للنبيّ ﷺ، ويخضعون له، وذلك من المسلّمات بين أهل السير والأخبار.

[الرَّدُّ على الوهّابية]

(١٦) انظر ذلك -على سبيل المثال- في تفسير آية ﴿**إيّاك نعبدُ وأياك نستعين**﴾ في: التبيان ١/ ٣٧ - ٣٩، مجمع البيان ١/ ٢٥ - ٢٦، الصافي ١/ ٧١ - ٧٢، كنز الدقائق ١/ ٥٤ - ٥٦، نور الثقلين ١/ ١٩ - ٢٠، آلاء الرحمن ١/ ٥٦ - ٥٩، البيان: ٤٥٦ - ٤٨٣، الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٤٥، جامع البيان ١/ ١٦٠، الدرّ المنثور ١/ ٣٧، التفسير الكبير ١/ ٢٤٢، ومادّة (عبد) في: لسان العرب ٣/ ٢٧٣.

(١٧) الإسراء: ٢٤.

(١٨) الحجرات: ٢.

علم الفقه، علم الأصول، علم الرجال، علم الحديث

حجية الظن في الامور التكوينية...

مرجع الطائفة السيد الخوئي قدس سره

مدرك حجية قول الرجالي

الشيخ باقر الايرواني

فائدة التشريع

السيد شهاب الدين المرعشي

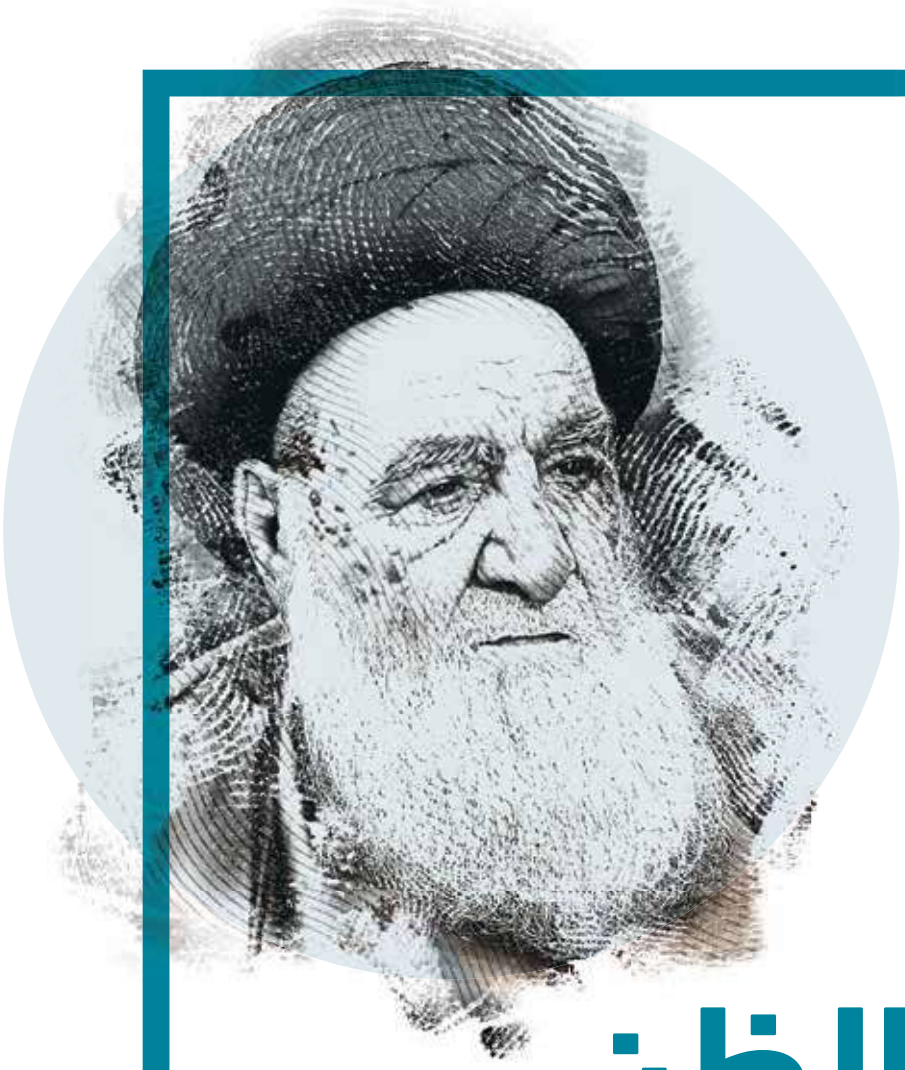

حجية الظن

في الامور التكوينية والوقائع التاريخية

مرجع الطائفة السيد الخوئي قدس سره

ان حجية الظن الخاص الثابت اعتباره بالأدلة الخاصة أو حجية الظن المطلق الثابت اعتباره بمقدمات الانسداد هل تعم كلاً من الاحكام الفرعية، والامور التكوينية والوقائع التاريخية، والاصول الاعتقادية أو تختص ببعضها فقط؟

فنقول: اما الاحكام الفرعية فلا ينبغي الريب في حجية الظن الخاص فيها بلا فرق في ذلك بين القول بكون مفاد ادلة الحجية جعل الطريقية واعتبار ما جعل حجة علما تعبدا بعد ما لم يكن كذلك واقعا كما هو المختار والقول بكون مفادها جعل التنجيز

والتعذير كما ربما يظهر من صاحب الكفاية قدس سره وهذا واضح، وكذلك الظن المطلق فانه على تقدير تمامية مقدمات الانسداد وكونها مفيدة لحجية الظن يكون حجة في الاحكام الفرعية على خلاف في كونه حجة فيما اذا تعلق بنفس الحكم الواقعي أو تعلق بطريقه أو مطلقا على ما اشرنا اليه آنفا.

واما الامور التكوينية والوقائع التاريخية فلا ينبغي الريب ايضا في حجية الظن الخاص في موردهما بناء على كون مفاد ادلة الحجية جعل الطريقية واعتبار ما جعل حجة علما تعبدا لشمول ادلة الحجية بإطلاقها له في موردهما من دون لزوم اللغوية لترتب جواز الاخبار عليه، فان جواز الاخبار بشيء مترتب على العلم بثبوته فبناء على كون مفاد ادلة الحجية اعتبار ما جعل حجة علما تعبدا يكون المكلف عالما بمتعلق الظن تعبدا فيجوز له الاخبار به، وعليه يترتب جواز الاخبار بمضامين الروايات المعتبرة الدالة على كيفية الخلقة وخصوصيات المخلوقات السماوية والارضية والحوادث التاريخية الواقعة في الامم السابقة.

نعم، بناء على كون مفاد ادلة الحجية جعل التنجيز والتعذير يشكل الالتزام بحجية الظن الخاص في موردهما لعدم ترتب اثر على حجيته حينئذ اما التنجيز والتعذير فلا معنى لترتبهما على الامور التكوينية والحوادث التاريخية، واما جواز الاخبار فقد عرفت انه مترتب على العلم بثبوت المخبر به دون ثبوته الواقعي، ولذا لا يجوز الاخبار بشيء عند عدم العلم بثبوته ولو كان ثابتا واقعا فان الاخبار نظير القضاء، فكما ان جواز القضاء يتوقف على العلم بثبوت الحق ولو تعبدا فلا يجوز عند عدم العلم بثبوته ولو كان ثابتا واقعا، ولذا عد في بعض الاخبار من اهل النار من قضى بالحق وهو لا يعلم به، كذلك جواز الاخبار بشيء فانه ايضا يتوقف على العلم بثبوته فلا يجوز الاخبار به عند عدم العلم بثبوته ولو كان ثابتا واقعا، وبما ان المكلف غير عالم بثبوت ما ذكر من الامور التكوينية والحوادث التاريخية في المقام لا وجدانا كما هو واضح ولا تعبدا لعدم افادة ادلة الحجية تنزيل الدليل الظني منزلة العلم على الفرض لا يجوز الاخبار بهما.

ومنه يظهر انه بناء على هذا المسلك لا يجوز الاخبار بثبوت الثواب على اتيان الواجبات والمستحبات بأن يقال من صلى صلاة كذا فله كذا مقدار من الثواب بل لا بد من اسناده الى الرواية بأن يقال ورد في الروايات انه من صلى صلاة كذا فله كذا مقدار من الثواب هذا كله في الظن الخاص.

واما الظن المطلق الثابت حجيته بدليل الانسداد فلا ينبغي الريب في عدم حجيته في المقام وان قلنا بتمامية دليل الانسداد في الاحكام الفرعية لعدم تماميته فيه فان من مقدماته العلم الاجمالي بثبوت تكاليف الزامية، ومن الظاهر ان الامور التكوينية وكذلك الحوادث التاريخية خارجة من اطراف العلم الاجمالي ومعه لا وجه لكونه حجة فيهما كما لا يخفى.

[مباني الاستنباط]

فائدة التشريع

السيد شهاب الدين المرعشي

أنّ التشريع الإلهي هو فيض قدسي ونعمة ربّانية أنزلها عزّ وجلّ لإسعاد الإنسان وتكامله، وجعل صفوة خلقه محطًّا لنزول هذا الفيض المبارك، ابتداءً بشيخ الأنبياء نوح عليه السلام وختاماً بمحمّد حبيب الله صلى الله عليه وآله، قال سبحانه: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً والَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ ومُوسى وعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**﴾.

ثمّ عزّز سبحانه كتبه بسنّة رسله وأنبيائه فعصمهم عن الخطأ وكلّ ما يشين الإنسان وجعلهم أُسوة وقدوة وصارت سننهم ملاكاً للهداية والضلالة وغدت عدلًا لكتب الله وحجّة على العباد.

فختمت الشرائع السماوية بخاتم النبيّين محمّد صلى الله عليه وآله وبزغ نور الإسلام بالمعنى الأخصّ، الذي من يبتغي غيره فإنّه لن يقبل منه: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾

فجاء التشريع الإسلامي لهداية الناس، وأغنى الأُمّة الإسلامية عن أيّ تشريع سواه، ولبّى حاجة المجتمع منذ اليوم الأوّل وإلى يومنا هذا وغداً على اختلاف العصور والأمصار واختلاف الظروف والشرائط. كلّ هذا كان ببركة الاجتهاد والمجتهدين العظام الذين بذلوا ما في وسعهم لاستنباط الأحكام الشرعيّة الفرعيّة عن أدلّتها التفصيلية، منابع الفقه والأحكام ومصدر التشريع الإسلامي، فمحمّد رسول الله وخاتم النبيّين قد بلّغ رسالات الله سبحانه، وقد خلّف من بعده حفظاً لرسالة الله من الضياع والانحراف والانعدام القرآن الكريم والعترة الطاهرة عِدل القرآن وترجمانه، كما في حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين السنّة والشيعة، فكانت الشيعة الإمامية الطائفة الحقّة ترجع إليهما في مسائلهم الشرعية وأحكامهم الدينية ومعتقداتهم وسلوكهم.

[القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد]

في هذه النقطة نريد التعرف على مدرك حجية قول الرجالي، وفيما يلي نذكر عدة وجوه:

١. ان يكون ذلك من باب الشهادة، فكما ان الأخبار لدى الحاكم بأن الدار الفلانية لزيد شهادة ويكون ذلك حجة من باب حجية الشهادة، كذلك اخبار الرجالي بوثاقة الراوي شهادة، ويكون حجة من باب حجية الشهادة.

وقد اختار ذلك جماعة من الأعلام منهم صاحب المعالم في معالمه، وأورد على ذلك بأن لازمه عدم قبول شهادة مثل النجاشي والشيخ الطوسي بالوثاقة؛ لأن شرط قبول قول الشاهد كونه حياً وليس بميت.

كما وانه يلزم عدم قبول شهادة كل واحد منهما فيما إذا كان منفرداً؛ لأن شرط قبول الشهادة تعدد الشاهد وكونه اثنين. كما وانه يلزم عدم قبول توثيق غير الإمامي الاثني عشري؛ لأن شرط قبول شهادة الشاهد عدالته ولا تكفي وثاقته.

وعليه يلزم رفض توثيقات بني فضال التي ينقل الكشي بعضها؛ لأنهم فطحية، وذلك بعيد.

٢. ان يكون ذلك من باب حجية قول أهل الخبرة، فكما ان قول الدلّال الذي يحدد قيم

الأشياء حجة من باب كونه من أهل الخبرة فكذلك اخبار النجاشي مثلاً بوثاقة الرواة حجة من الجهة المذكورة.

ويرده: ان المورد لا يكون من موارد شهادة أهل الخبرة إلّا إذا احتاج إلى اعمال الاجتهاد والنظر، وواضح ان اخبار النجاشي بالوثاقة لا يتوقف على ذلك؛ لأن الوثاقة هي من الأُمور المحسوسة أو القريبة من الحس.

وان شئت قلت: ان الكتب الرجالية كانت متوفرة زمن النجاشي وكان بواسطتها يحكم بوثاقة هذا وذاك، ومجرد هذا لا يصيره من أهل الخبرة، إذ هو نظير من كان واقفاً على مرتفع وينظر إلى مجيء هذا وذاك ثم يخبرنا بذلك فهل ترى اننا نقبل اخباره من باب كونه من أهل الخبرة؟ كلا.

٣. ان يكون ذلك من جهة حصول الاطمئنان من قول الرجالي، وحيث ان الاطمئنان حجة بالسيرة العقلائية التي لم يثبت الردع عنها فيثبت حجية قول الرجالي.

ويرده: ان حصول الاطمئنان من قول الرجالي نادر جداً.

ومن الغريب ما ينقل عن بعض اعلام مدرسة النجف الأشرف من حصول القطع له بوثاقة من يوثقه الشيخ الطوسي قدس سره.

٤. ان يكون ذلك من باب حجية خبر الثقة بتقريب ان سيرة العقلاء قد جرت على التمسك بخبر الثقة في جميع المجالات.

وهي حجة ما لم يثبت الردع عنها في مورد خاص كما هو الحال في الزنا، فإنه قد دلَّ الدليل على عدم ثبوته إلّا بأربعة شهود، وكما في السرقة حيث دلَّ الدليل على عدم ثبوتها إلّا بشاهدين.

وبناء على هذا الرأي لا يشترط في الموثّق العدالة بل يكفي كونه ثقة متحرزاً عن الكذب. كما وانه لا يشترط التعدد بل يكفي اخبار الواحد. كما وانه لا تشترط حياته.

كل ذلك من جهة انعقاد السيرة العقلائية على التمسك بخبر الثقة من دون اشتراط التعدد والعدالة والحياة.

وممن اختار هذا الرأي من المتأخرين السيد الخوئي قدس سره.

[دروس تمهيدية في القواعد الرجالية]

لماذا أصبح العام الهجري مبدأ...
الشيخ جعفر السبحاني

آثار الحركة الحسينية
السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

الثوابت الأربعة في ثورة الإمام...
الشيخ محمد رضا المظفر

حركة التوابين (سنة ٦٥ هـ)
السيد زهير الاعرجي

الفضل ما شهدت به الاعداء
آية الله العظمى الصافي الكلبايكاني

لماذا أصبح العامُ الهجريُ مبدأ للتاريخ

الشيخ جعفر السبحاني

إن الإسلام أكمل الشرائع السماوية قاطبة، وقد جاء إلى البشرية بما تتضمنه شريعة موسى وعيسى عليهما السلام ولكن بصورة أكمل وبصيغة تطابق وتتماشى مع جميع الظروف والأوضاع.

ومع أن السيد المسيح عليه السلام وميلاده المبارك يحظى بالاحترام عند المسلمين إلاّ أنّ ميلاده عليه السلام لم يُتخَذ لديهم مبدأ للتاريخ، والتوقيت.

وكانت العرب قد جعلت عام الفيل[1] مبدأ لتاريخها، وكانت تقيس حوادثها وأمورها إليه فترة من الزمن، ومع أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قَد وُلِدَ في ذلك العام نفسه، إلّا أن المسلمين لم يتخذوه مع ذلك مبدأ للتاريخ؛ لأنه لم يكن ينطوي على ما يتصل بقضية الإيمان والإسلام.

ولأجل هذا أيضاً؛ لم يتخذوا عام البعثة مبدأ لتاريخ المسلمين أيضاً لأن عدد المسلمين لم يكن يتجاوز في ذلك اليوم ثلاثة أشخاص، إذن فلم يكن في اي واحد من تلك الحوادث ما يعطي مبرراً قوياً لاتخاذه مبدأ للتوقيت والتاريخ، إذ لابد ان يكون ما يتخذ لذلك قضية مصيرية بالغة الأهمية.

ولكنه في السنة الاولى من الاعوام الهجرية حقق المسلمون انتصاراً عظيماً وباهراً، وقد أسست فيه حكومة مستقلة وتخلّص المسلمون

(١) وهو العام الّذي سيرَّ فيه أبرهة جيشاً لهدم الكعبة تتقدمة الفيلة.

من التشرذم والتبعثر، وتمركزت قواهم وعناصرهم في نقطة واحدة، وبيئة حرة لا أثرَ فيها للكبت والاضطهاد، من هنا جعلوا ذلك العام (أي العام الّذي تحققت فيه هجرة النبيّ العظيم) مبدأ لتاريخهم، واخذوا يقيسون إليه، وحتّى الآن كل ما يحدث ويقع من خير وشر لتحديد تاريخ وقوعه.

من هنا يكون قد مضى على عام هجرة النبيّ ﷺ من مكة إلى المدينة الف واربعمائة وتسعة اعوام.

الهجرة النبوية مبدأ لتاريخ المسلمين كافة:

ولقد جعل رسول الله ﷺ التاريخ الهجريّ بنفسه، وانّ أيَّ إعراض وتجاهل لهذا التاريخ، واختيار تاريخ آخر مكانه إعراضٌ عن سنة رسول الإسلام الكريم ﷺ، ومخالفة لما رسمه للمسلمين في هذا المجال.

إن وجود تاريخ معين ثابت (مؤلّف من السنة والشهر واليوم) في الحياة الإجتماعية البشرية، من الأمور الضرورية الحيوية، بل هو في غاية الضرورة والحيوية، من أجل أن لا تتوقف عجلة الحياة الإجتماعية البشرية عن الدوران والحركة بسبب فقدان مقياس زمني ثابت ومعلوم للأمور والحوادث.

وتلك حقيقة لا حاجة إلى اقامة البرهان عليها؛ لأنَّ الاستدلال عليها يكون مثل الاستدلال على الامور البديهية، فهل يكون تنظيم المعاهدات، والمواثيق السياسية والعسكرية، والاتفاقيات، والعقود الاقتصادية وتحويل وتسديد السندات والحوالات التجارية ودفع الديون وكتابة الرسائل العائلية من دون ذكر تاريخ معين فيها أمراً مفيداً؟ كلا حتما، ودون ريب.

فعندما سأل بعض الصحابة النبيّ ﷺ عن علة اختلاف أشكال القمر، وانه لماذا يكون هلالا تارة ثم بدراً أخرى، ثم يعود إلى سيرته الأولى هلالا؟ نزل الوحيُ الالهي يبيّنُ بعض حكمة هذه الظاهرة الطبيعية إذ قال تعالى: ﴿**قل هيَ مواقيت للنّاس**﴾[٢].

أي ان اختلاف اشكال القمر وهيئاته انما هو لاجل ان يعرف الناسُ به الوقت والتاريخ فيعرفوا في أي يوم من الشهر هم، في مبدئه أو منتصفه أو منتهاه، ولكي يعرفوا بواسطة ذلك مواعيد واجباتهم الشرعية والاجتماعية، ويعرف الدَّيّان موعد تسلّم دُيونهم، ويعمَدُ المَدِينون إلى دفع ما عليهم في وقته، ويقومَ المؤمنُون بفرائضهم المقيَّدة بالازمنة والاوقات كالصوم والحج وما شابه ذلك.

من هنا لا مجال للنقاش في احتياج كل أمة إلى تاريخ معين ثابت محدّد تجعله ملاكاً للتوقيت، ومداراً لتحديداتها الزمنية.

[سيد المرسلين]

---

(٢) البقرة: ١٨٩ ومطلعها: ﴿**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت...**﴾.

الثوابت الأربعة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ محمد رضا المظفر

عن زرارة، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «كتب الحسين بن عليّ عليه السلام من مكّة إلى محمّد بن الحنفيّة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ إلى محمّد بن عليّ ومَن قبله من بني هاشم: أمّا بعد: فإنّ من لحق بي استشهد، ومَن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام».

تتضمّن هذه الرسالة الموجزة أربع قضايا أساسيّة وثابتة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وهذه القضايا الأربعة:

الأول: حتميّة الشهادة:

من أبرز سمات ثورة الإمام الحسين عليه السلام الدعوة إلى الشهادة، والاستماتة في سبيل الله، ولم يزل الحسين عليه السلام منذ أن غادر مكّة إلى العراق، إلى يوم عاشوراء، يؤكّد لَمن يلقاه، ولَمن يصحبه أنّ سبيله وسبيل مَن يصحبه الموت.

ومهما شكّ الإنسان في شأن من شؤون هذه الثورة الفريدة في التاريخ فلن يشكّ أنّ الحسين كان ينعى نفسه إلى الناس في خروجه إلى العراق،

وكان يعلن إلى الناس أنّ سبيل مَن يخرج معه الشهادة لا محالة، وأنّ مَن يخرج معه لن تتخطّاه الشهادة.

روى أصحاب السير أنّ الحسين عليه السلام لمّا أراد الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال: «خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه». والإمام عليه السلام في هذه الخطبة ينعى نفسه إلى الناس، ويفتح خطابه للناس بالتعريف على الموت. ثم يدعو الناس إلى الخروج معه، ويطلب منهم مهجهم وأن يوطّنوا أنفسهم في الخروج معه للقاء الله.

«.. من كان باذلاً فينا مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله».

لقد كان الحسين عليه السلام يرى أن لا سبيل له للقضاء على فتنة بني أميّة التي طالت هذا الدّين وهذه الأمّة إلّا بقتله وقتل مَن معه من أهل بيته وأصحابه، وكان يعرف هذه الحقيقة بوضوح، ولم يكن يشكّ في ذلك. وهذا ما كان يخفى على أولئك النفر الذين كانوا ينصحون الحسين عليه السلام ألّا يغترّ بكتب أهل العراق ودعوتهم له- ولم يكن بوسع الحسين عليه السلام أن يفصح لهم عمّا يراه ويعرفه.

وآخر مرّة أعلن الحسين عليه السلام لأهل بيته وأصحابه أن مآلهم الشهادة ليلة العاشر من محرّم، جمع الحسين عليه السلام أصحابه وخطب فيهم، وأحلّهم من بيعته وقال لهم: «ذروني وهؤلاء القوم فإنّهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم».

فلمّا توثّق من عزمهم على الشهادة معه قال لهم: «إنّكم تقتلون غداً، كذلك، لا يفلت منكم رجل قالوا: الحمد لله الذي شرّفنا بالقتل معك».

أجل، إنّ مَن يقرأ سيرة الحسين من المدينة إلى كربلاء من دون مسبقات ذهنيّة لا يشكّ في أنّ الحسين عليه السلام لم يكن يطمع في مسيرته هذه بالحكم والسلطان، ولم يكن يتوقّع في هذه المسيرة غير القتل والسبي له ولمَن معه من أنصاره ولأهل بيته وحرمه ونسائه.

ولم يكن العبادلة الأربعة: (عبدالله بن مسعود، عبدالله بن عبّاس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله ابن الزبير) الذين نصحوا الحسين بالإعراض عن العراق أعرف من الحسين وأخبر منه بحال العراق وحال الناس في العراق في هذه الفترة.

وهذه السمة كما ذكرت هي أبرز معالم عاشوراء وسماتها، وإلغاء هذه السمة هو تجريد عاشوراء من قيمتها التاريخيّة الكبيرة.

الثاني: حتميّة الفتح:

والإمام عليه السلام يقرّر هنا هذه الثابتة الثانية، بنفس الدرجة من الجزم الذي يقرّر به الثابتة الأولى، وهي مفهوم الجملة الثانية «ومَن لم يلحق بي لم يدرك الفتح».

ولهذه الجملة منطوق وهو واضح، ومفهوم وهو أنّ من لحق به أدرك الفتح، ولا يقلّ المفهوم في الوضوح عن المنطوق..

إنّ الإمام عليه السلام لا يريد بالفتح هنا الفتح العسكريّ الميدانيّ، ولا يمكن أن يريد به هذا المعنى الذي يطلبه القادة العسكريّون في حروبهم.

إذاً الإمام عليه السلام يريد بالفتح معنى آخر، أقرب إلى المفاهيم الحضاريّة منه إلى المفاهيم العسكريّة.

إنّ الإمام عليه السلام يجد أن بني أميّة قد عملوا على استعادة الجاهليّة إلى الإسلام بأفكارها وقيمها، وحتّى المواقع السياسيّة والاجتماعيّة التي حرّرها الإسلام من نفوذ الجاهليّة، استعادها بنو أميّة إلى دائرة نفوذهم من جديد، واحتلّوا مواقع السلطة والنفوذ والمال في المجتمع الإسلاميّ الجديد..

وقد تحوّلت هذه المواقع اليوم بكلّ نفوذها إلى أيدي بني أميّة دون أن يكون قد حصل تغيير جوهريّ في أفكار بني أميّة ومواقفهم.

لقد واجه الحسين عليه السلام كارثة بالمعنى الدقيق، حلّت بهذا الدّين، وبهذه الأمّة.

وكان همّ الحسين عليه السلام في هذه المرحلة الحسّاسة من التاريخ:

أ. إلغاء الشرعيّة وسلب الصفة الشرعيّة عن دولة بني أميّة، وهذا العمل كان أعظم ما قام به الحسين عليه السلام في هذه الثورة، ونجح الحسين عليه السلام في ذلك نجاحاً كاملاً، وقد دام حكم بني أميّة بعد الحسين عليه السلام زمناً طويلاً، غير أنّ بني أميّة لم يعد لهم في نظر المسلمين بعد وقعة الطفّ موقع الشرعيّة الدينيّة في الحكم، بعنوان خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وإمرة المؤمنين، وإن كانوا يسمّون أنفسهم بهذه أو تلك، وكانوا في نظر عامّة المسلمين حكّاماً زمنيّين ملكوا الحكم عنوة، و«بالعنف»، ولم يكن لهم شأن مثل شأن الخلفاء من قبلهم إلى ولاية الإمام الحسن عليه السلام بعد أبيه عليه السلام، ولم يأخذ الناس عنهم دينهم كما كانوا يأخذون عن الخلفاء من قبلهم. ولم تعد لموقع الخلافة القدسيّة التي كانت لها قبل وقعة عاشوراء.

ب. إعادة روح الجهاد والمسؤوليّة والمقاومة إلى الناس، لقد سلب بنو أميّة فيما سلبوا إرادة الناس، فأصبح الناس، تبعاً لآل أميّة، لا رأي لهم، ولا عزم لهم، ولست أدري ماذا فعل بنو أميّة، خلال السنوات التي حكم فيها معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد بن معاوية، حتّى أحضر عبيد الله ابن زياد رأس الحسين عليه السلام بن بنت رسول الله في مجلس عام في قصره، قد أذن للناس فيه فينكث شفتي ابن رسول الله بخيزرانة كانت بيده، فلم ينكر عليه أحد غير زيد بن أرقم، الذي كان يحضر عندئذ هذا المجلس، وعبد الله بن عفيف الذي سمع من ابن زياد كلامه في عليّ عليه السلام والحسين عليه السلام وأهل بيته، فأغضبه ذلك، فسبّ ابن زياد وشتمه على رؤوس الناس وأسخطه وأغضبه، وأهانه.

ولم يذكر المؤرّخون غيرهما مَن اعترض على

ابن زياد.

والحركة التي يقدم عليها الحسين عليه السلام تستجمع كلّ الشروط التي يطلبها الله تعالى من عباده ليهبهم النصر وهي: الإيمان، والإخلاص، والتقوى، والجهاد في سبيل الله.

ولم يشكّ الحسين عليه السلام لحظة واحدة أنّ الله تعالى ينصره في هذه الحركة، وأنّ النصر لن يُخطئه وهذه هي الحتميّة الثانية في هذه الحركة.

٣. العلاقة بين الفتح والشهادة:

وهي القضيّة الثالثة في القضايا الأربع التي يتضمّنها كتاب الحسين عليه السلام. وهذه الحتميّة نستخرجها من ضمّ الحتميّتين الأولى والثانية.

ففي القضيّة الأولى: يخبر الإمام عن استشهاد كلّ مَن يخرج معه إلى العراق.

وفي القضيّة الثانية: يعلن الإمام أنّ الذين يخرجون معه فقط ينالون الفتح.

والنتيجة التي نستخرجها من ضمّ هاتين القضيّتين: أنّ الذين يخرجون مع الحسين عليه السلام ينالون الفتح بالشهادة، ولا يتيسّر لنا فهم هذه النقطة إلّا إذا فسّرنا (الفتح) على النهج الذي فسّرناه به، عندئذٍ تستقيم لنا العلاقة بين الفتح والشهادة.

فإنّ هذا الفتح لن يكون إلّا بفتح الضمائر والقلوب والعقول، وتحرير عقول الناس ونفوسهم من سلطان التبعيّة لبني أميّة، وتحرير الإسلام من حركة التحريف والتشويه التي تجري في حضور السلاطين باسم الإسلام، ومن خلال موقع خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولن يتمّ هذا الفتح إلّا إذا تيسّر لهؤلاء النفر الذين يخرجون مع الحسين عليه السلام من فتح نفوسهم وعقولهم وضمائرهم وتحريرها من سلطان بني أميّة، ومن فتح الشرعيّة الإسلاميّة للخلافة وتحريرها من نفوذ بني أميّة.

ولن يتمّ لهم هذا وذاك إلّا بدم غزير وعزيز يهزّ ضمائر الناس هزًّا عنيفاً، ويعيدهم إلى أنفسهم ووعيهم ورشدهم.

وهذا هو الذي يقرّره الإمام عليه السلام في هذا الكتاب الذي وجّهه إلى محمّد بن الحنفيّة: إنّ هذا الفتح لن يتمّ لمن يخرج معه إلّا بالقتل والشهادة.

٤. إنّ هذا الفتح لن يتكرّر في التاريخ:

وهذه هي الحتميّة الرابعة في كتاب الحسين عليه السلام إلى محمّد بن الحنفيّة وبني هاشم، يقول عليه السلام: «ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح» وهذا الكلام صريح فيما ذكرناه.

إنّ هذا الفتح الذي أجراه الله على يد الحسين عليه السلام وأنصاره لن يتكرّر مرّة أخرى في التاريخ.

إنّ في التاريخ نوعين من الأحداث: أحداث تتكرّر كالحرب، والسلم، والمجاعات وفترات الرفاه، وفترات الضعف وفترات القوّة، والهزيمة والنصر وما إلى ذلك، وأحداث لن تتكرّر، ولن تقع إلّا مرّة واحدة، فمَن أدركها فقد أدركها، ومَن لم يدركها فلن تعود بعد ذلك..

والأحداث التي لن تتكرّر في التاريخ على نحوين: فتوح لا سقوط بعدها، وسقوط لا فتوح بعده.

وفتح (عاشوراء) فتح ليس بعده سقوط.. وهذا هو الذي يقرّره الحسين عليه السلام في كتابه الذي نتحدّث عنه. فيا ترى ما هذا الفتح الذي ليس بعده فتح؟

وكيف يصحّ مثل هذا القول، وقد تكرّرت بعده هزائم وانتكاسات ومصائب على المسلمين، وتكرّرت بعدها فتوحات وانتصارات كبيرة للمسلمين؟

والجواب: أنّ هذه الهزائم والانتكاسات حصلت للإسلام وللمسلمين بعد أن خرج الإسلام من مضايق التاريخ وتجاوزها، وانتشر على وجه الأرض، فلم يعد لهذه الأحداث خطر على كيان الإسلام..

وفتنة بني أميّة كانت من هذا النوع، لقد استحوذ بنو أميّة على كلّ المساحة الإسلامية، وعلى كلّ مواقع القوّة والنفوذ في المجتمع الإسلاميّ، وذلك من خلال موقع الشرعيّة السياسيّة، وهو موقع خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان من هذا الموقع يأخذ الناس الحلال والحرام في هذا الدّين، فعمل بنو أميّة على تحريف هذا الدّين من هذا الموقع بالذات.

ولو كان الأمر يستقيم لهم لم يبق من الإسلام إلّا الاسم، وكان الأمر كما قال الحسين عليه السلام لوالي المدينة يوم دعاه إلى مبايعة يزيد بعد موت معاوية: «وعلى الإسلام السلام إذا بُلي المسلمون بوال مثل يزيد».

وفي عاشوراء استطاع الحسين عليه السلام أن يلغي شرعيّة الخلافة من آل أميّة، وبني العبّاس، فلم يعد بعد ذلك للهوهم وطربهم وإسرافهم وترفهم وظلمهم وعدوانهم خطر على الإسلام، مهما بلغ أثره التخريبيّ في المجتمع الإسلاميّ يومذاك، ولم يعد ينظر المسلمون إلى موقع الخلافة نظرة التقديس والتنزيه والشرعيّة، ولم يعودوا في نظر المسلمين غير حكّام من عامّة السلاطين، والحكّام يظلمون ويسرفون كما يسرف غيرهم من السلاطين.

واستمرّ حكّام بني أميّة، في موقع الولاية والحكم، واحتلّ هذا الموقع بعدهم حكّام بني العبّاس، إلّا أنّ الناس لم يأخذوا قطّ دينهم عنهم، ولم يأخذوا عنهم الحلال والحرام، كما كانوا يعملون في أيّام الخلفاء الأوائل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إذاً، كانت عاشوراء فتحاً ليس بعده فتح، وقد خصّ الله تعالى بهذا الفتح الحسين عليه السلام ومن كان معه من أهل بيته من بني هاشم وأصحابه فنالوا هذا الفتح يوم عاشوراء بقتلهم جميعاً معه.

الفضل ما شهدت به الاعداء

آية الله العظمى الصافي الكلبايكاني

إنَّ في وجود كلِّ إنسان بصيصَ نورٍ من عالم الغيب ومصباحاً يسُوقُهُ الى الحقيقة والعدالة والامانة.

وهذا النور يصل اليه من عالم الغيب وبالامداد الالهي، ويشتدُّ ويقوى اثر الاعمال الصالحة والعلم والمعرفة والتربية المستقيمة، وتصل قوته احياناً الى الاحاطة بتمام باطنه الوسيع وإضاءته الى درجة انعدام كل الظلمة في نفسه.

كما أنَّ سوء التربية والانغماس بالقبائح والشهوات والاقبال على الماديات واهمال التعلم والاطلاع على الحقائق والمعارف والمعقولات يوجب ازدياد سمك الحجب والاغشية التي تمنع القلب عن البصيرة.

كما ان الاشتغال بالمناهي والملاهي وحبِّ الدنيا والمال والجاه والمقام والشهوات يُنسي الانسانَ الحقائق ويُنسيه مصيره وما يؤول اليه امرُه

ومستقبله الذي ينتظرُهُ.

ولكن، وحتى في هذه المرحلة المظلمة، ومهما هوى الإنسان في السقوط وحتى لو صار مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**أولئكِ كالأنعام بَل هُمْ أضَلّ**﴾ يبقى بصيص أمل لعودته ويبقى بعض المنافذ والشبابيك مفتوحة في وجوده تُرجعُه الى عالم الغيب والحقيقة، ويبقى خلاصُه من متاهات السقوط والانحدار ومن ظلمات الشهوات الحيوانية، ممكناً غيرَ مستحيل.

وسواء سميتم ذلك بالإدراك أو الوجدان الواقعي للانسان أو غريزة حب الحقيقة أو الفطرة أو اي اسم آخر، فالمهم هو وجودها في الإنسان مهما انحدر، فهذا البصيص من النور وحتى لو كان ضعيفاً وخفيفاً، يتجلى في باطن الإنسان ويُشعره بمسؤولية تجاه ربِّه ويُتمُّ الحجّة عليه الى درجة ان الناس جميعاً يتوقعون منه القيام بتكاليفه ووظائفه واحترام شرف إنسانيته، والّا كان مستحقاً للملامة والذمِّ والتوبيخ، بل ومستحقاً للعقاب والتأديب في نظر العقلاء.

ونلاحظ أيضاً أنَّ اولئك الذين يخالفون الانبياء والمناهج السماوية الداعية الى الحق والعدالة والحرية، وفي اشدِّ ساعات المواجهة بينهم، تصدر عنهم احيانا وبلا ارادة بعض عبائر المدح والثناء للأنبياء فتتصرف فيهم فطرتهم السليمة وتوثر فيهم الحقيقة والمعنويات والطهارة، فتراهم أحيانا يبكون ويتألمون للأنبياء، ولكنهم يعودون الى ما يقترفون من ذنوب ومعاصٍ واضطهاد للاخيار وكأن هزّة باطنية تعتورهم وتبعدهم عن واقعهم المرير، ثم يلتفتون الى حالهم فيعودون لما نُهوا عنه ويرجعون الى الدرجة الاولى في السُلَّم والى قلعة الانانية والانكار والتمرد.

وتاريخ الإسلام مشحون بإقرارات واعترافات أشدِّ اعداء الرسول الاكرمﷺ والائمة الطاهرين بأحقيّة هؤلاء الاطهار وصحة منهجهم وسبيلهم.

نعم، إنَّ اعداء أهل البيتعليهم السلام، والحاقدين والمتعصبين وعبدة الدنيا والمغرورين الذين اضطهدوا اهل البيتعليهم السلام، يشهدون في مواقع عديدة بفضيلة وحقانية أهل البيت ويقرّون ببطلان أنفسهم ويعترفون بأن حبّ الدنيا أو العناد واللجاجة هي التي دفعتهم الى انكار حق اهل البيتعليهم السلام .

اقرؤوا قصة أبي سفيان والاخنس وابي جهل في سيرة حياة النبي الاكرمﷺ وكيف انهم كانوا يأتون في الليالي الظلماء وبعيداً عن الانظار وفي الخفاء، لكي يستمعوا الى آيات القرآن المجيد من لسان النبيﷺ، وفي النهار يعودون الى محاربته وانكاره وايذائه.

وإنَّ من عزل علياًعليه السلام عن ساحة الاحداث واجلسه الدار، كان يعترف بفضائل ومقام عليعليه السلام وكان يعترف بأن علياً هو الاكفأ والاقدر والأنسب من بين كل المسلمين بهذا الأمر وهذا معاوية وعمرو بن العاص وفي حياة أمير المؤمنين عليعليه السلام

وبعد شهادته، وفي مجالسهم الخاصة والعامة احياناً، يعترفون بفضائل ومناقب علي عليه السلام وعلمه وورعه وتقواه، وتارة كان معاوية يبكي عندما يذكر مناقب أمير المؤمنين ويترحم عليه!!

وهذا عبد الملك بن مروان وعندما واجه مشكلة ضرب النقود العويصة- كما يذكر ذلك البيهقي والدميري اضطر الى التماس محمد بن علي الباقر عليه السلام واخذ الحلِّ من علمه الجمِّ، وهكذا كان فقد علمهُ الإمام الباقر عليه السلام حل تلك المعضلة. وها هو المنصور الدوانيقي الذي قتل ذراري رسول الله السادات بأفجع صور القتل وأبشعها، وطبقا لأوثق النقولات المعتبرة أنه دسَّ السُمَّ للإمام الصادق عليه السلام وقتله، نفس هذا السفاح وطبقا لما يذكره اليعقوبي عن اسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس، ان المنصور بكى على الإمام الصادق عليه السلام حتى ابتلّت لحيته من دموع عينيه وكان يقول: انه كان سيد أهل بيته وبقية الاخيار منهم وانه ممّن نزل فيهم قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾[1].

وهذا هارون الرشيد يعترف ويُقرُّ بمقامات موسى بن جعفر عليهما السلام وما ذكره المأمون من قصة احترام هارون الرشيد للإمام موسى بن جعفر وتبجيله، مشهورة ومعروفة.

وهكذا سائر الائمة عليهم السلام يحدثنا التاريخ أنَّ خلفاء زمانهم واعداءهم قد اعترفوا بفضلهم ومقامهم وعلمهم واهليتهم لحلِّ المعضلات من المسائل وانَّ اولئك الخلفاء كانوا يلوذون بهم ساعات الابتلاء والشدائد.

ولا يخفى أنَّ اكثر الاعترافات والاقرارات من هؤلاء الظلمة كان من باب السياسة وخداع الرأي العام ورعاية المصالح الشخصية والنفاق والمراء لاستغفال الناس، ولكنها مع كل ذلك كانت شهادة الاعداء بحسن قبول الناس لأهل البيت وحُسن سيرة المعصومين واتفاق الناس على اهليتهم وصلاحيتهم بل اسبقيّتهم على الاخرين في كل المجالات الى درجة عَجْزِ اعدائهم عن اخفائها.

وما ذكرناه من اعتراف الاعداء، ينسحب الى اعداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام بوضوح، يقول الاستاذ عباس محمود العقاد: ولكنَّ الجيش الذي أرسله عبيد الله بن زياد لحرب الحسين عليه السلام كان جيشاً يحارب قلبه لأجل بطنه أو يحارب ربةَّ لأجل واليه اذ لم يكن فيهم رجلٌ واحد يؤمن ببطلان دعوى الحسين عليه السلام أو رجحان حقِّ يزيد، ولم يكن فيهم كافر ينفح عن عقيدة غير عقيدة الإسلام إلّا من طوى قلبه على كفر كمين هو مخفيه ولا نخالهم كثيرين...

ولو كانوا يحاربون عقيدة بعقيدة، لما لصقت بهم وصمة النفاق ومسبّة الاخلاق، فعداوتهم ما علموا أنّه الحق وشعروا أنَّهُ الواجب أقبح بها من عداوة المرء ما هو جاهله بعقله ومعرض عنه بشعوره؛ لأنهم يحاربون الحقَّ وهم يعلمون.

(١) فاطر: ٣٢.

ومن ثمَّ كانوا في موقفهم ذلك ظَلاماً مطبقا، ليس فيه من شعور بالواجب بصيصٌ واحدٌ من عالم النور والفداء، فكانوا حقّاً في يوم كربلاء قوة من عالم الظلام تكافحُ قوّة من عالم النور. وروى ابن أعثم انَّه لما ورد كتاب يزيد بن معاوية الى الوليد بن عقبة والذي يأمره فيه بقتل الحسين بن علي عليه السلام ويعده بالإمارة والجائزة، اغتمَّ الوليد لذلك وقال: «لا حول ولا قوة إلّا بالله والله لو ان يزيد اعطاني الدنيا بما فيها لما اشتركت بقتل الحسين بن رسول الله».

يقول الدينوري: عندما اقترح مروان بن الحكم على الوليد، قتل الحسين قال: «وَيْحَكَ أتُشيرُ عليَّ بِقَتْلِ الحُسين بنِ فاطمةَ بنت رسول الله والله ان الذي يُحاسَبُ بِدَمِ الحُسَينِ يَومَ القيامةِ لخفيفُ الميزانِ عند الله».

وهذا يدل على مدى تعجب واستغراب الوليد من جرأة مروان وقلة حيائه، ولم يتوقع حتى من مثل مروان المنافق الحاقد، التفكير في قتل مثل الحسين.

يقول السبط بن الجوزي، قال الوليد لمروان: «وَالله ما أُحبُّ أنَّ لِيَ ما طَلَعَتْ عَليهِ الشّمسُ وإنّي قَتَلتُ حُسيناً.»

وروى ابن الاثير ان الوليد قال: «و الله ما أحبّ انَّ لي ما طَلَعَتْ عليهِ الشمسُ وما غَرُبَتْ عَنْهُ من مالِ الدنيا ومُلكِها وإنّي قَتَلتُ حُسيناً إنْ قال لا أُبايعُ والله إنّي لأظنّ أنَّ إمْرَءاً يُحاسَبُ بدَمِ الحُسَين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامَة.»

وروى الخوارزمي ان مروان حذّر الوليد من التمرد على امر يزيد بقتل الحسين عليه السلام فقال له الوليد: «مَهلًا وَيْحَكَ دَعْني من كلامِكَ هذا، وأحْسِنِ القولَ في ابن فاطِمَةَ فانَّهُ بقيَّةُ وُلدِ النَّبيّين.»...

قال حميد بن مسلم: كان لي صحبة مع عمر ابن سعد فأتيته عند منصرفه من قتال الحسين عليه السلام فسألته عن حاله فقال لا تسأل عن حالي فإنه ما رجع غائب إلى منزله بشرّ مما رجعتُ به قطعتُ القرابة القريبة وارتكبت الأمر العظيم. ولما قام عمر بن سعد من عند ابن زياد يريد منزله إلى أهله وهو يقول في طريقه: «ما رجع أحد مثل ما رجعت، أطعت الفاسق ابن زياد الظالم بن الفاجر وعصيت الحاكم العدل وقطعت القرابة الشريفة».

وهجره الناس وكان كلما مرّ على ملأ من الناس أعرضوا عنه وكلما دخل المسجد خرج الناس منه وكل من رآه قد سبّه فلزم بيته الى أن قُتل.

وروى ابن الاثير والطبري: دخلوا (القوم الذين جاؤوا برأس الحسين عليه السلام من الكوفة) على يزيد فوضعوا الرأس بين يديه وحدثوه الحديث قال: فسمعت دَوْرَ الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيزْ- وكانت تحت يزيد بن معاوية فتقنعت بثوبها وخرجت فقالت: يا أمير المؤمنين أرأس الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله قال: نعم، فأعْولي عليه وحُدّي على ابن بنت رسول الله وصريخة قريش عجّل عليه ابن زياد فَقَتلَهُ قَتَلَهُ الله. وحتى ابن زياد لما رأى اعتراضات الناس وسخطهم عليه وانَّ نفرة

المسلمين ولعنتهم لحقت به، حاول التبري من دم الحسين عليه السلام، حتى انه حاول اتلاف كل كتبه التي وجهها الى ابن سعد وغيره فيما يرتبط بقتل سيد شباب اهل الجنة عليه السلام، قال هشام: عن عوانة قال: قال عبيد الله بن زياد لعُمر بن سعد بعد قتله الحسين عليه السلام: يا عمر أين الكتاب الذي كتبتُ به اليك في قتل الحسين؟

قال: مَضَيتُ لأمرك وضاع الكتاب! قال: لتجئني به. قال: ضاع! قال: والله لتجئني به. قال: ترك والله يُقرأ على عجائز قريش اعتذاراً اليهنَّ بالمدينة، أما والله لقد نصحتُك في الحسين نصيحةً لو نصحتُها أبي سعدَ بن ابي وقاص كُنتُ قد ادّيت حقه.

قال عثمان بن زياد اخو عبيد الله: صَدَقَ والله، لوددتُ أنّه ليس من بني زياد رجُلٌ إلّا وفي أنفِهِ خِزامة الى يوم القيامة وأنَّ حُسيناً لم يُقتل. قال: فو الله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله. روى ابو مخنف: قال الناس لسنان بن أنس: قتلتَ الحسين عليه السلام بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قتلت اعظمَ العرب خطراً، جاء الى هؤلاء يريد ان يزيلهم عن ملكهم، فأتِ امراءَكَ فاطلب ثوابك منهم، لو أعطوك بيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلًا. فأقبل على فرسه وكان شاعراً وكانت به لَوْثة فأقبل حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثم نادى بأعلى صوته:

أوْقِر ركابي فِضَّةً أو ذَهَبا

أنا قَتَلتُ المَلِك المحَبَّبا

قَتَلْتُ خَيرَ الناسِ أُمّاً وأبَا

وخيرَهم اذ يُنسبون نَسَباً

فقال عمر بن سعد: أشهَدُ إنَّكَ لمجنون ما صَحَحْتَ قَطْ، أدخلوه عليَّ، فلما دخل حَذَفَهُ بالقضيب ثمَّ قال: يا مجنون أتتكلَّم بهذا الكلام! أما والله لو سمعك ابن زياد لضرب عُنُقك. ومع هذا التنبيه من عمر بن سعد بسنان، نجد ان خولى بن يزيد حينما جاء الى عبيد الله بن زياد برأس الحسين، أنشد نفس هذه الابيات...

وفي زماننا يوجد بعض الناس يقدسون اهل البيت عليهم السلام ويظهرون المودة والحب لهم، لكنهم يحاربون مبادئ واهداف اهل البيت عليهم السلام، يبكون لأسر زينب واخوات زينب من بنات الرسالة، لكنهم لا يكترثون لستر نسائهم وحجابهنَّ، ويتبركون بالقرآن ويباركون اولادهم بحمل القرآن على صدورهم، ويتحرَّزون به عند سفرهم ولكنهم يخالفون احكام القرآن الكريم.

هذه هي الحقيقة المرّة وهي ان هؤلاء لو كانوا في زمن يزيد لكانوا من جنده ولم يتوانوا عن سلِّ سيوفهم في وجه الحسين عليه السلام وهؤلاء هم الذين وصفهم الحسين روحي فداه بقوله: «الناس عبيدُ الدنيا والدِّينُ لَعَقٌ على ألسِنَتِهِمْ فاذا محّصوا بالبَلاء قَلَّ الدّيّانون» أُفٍّ لمثل هؤلاء المسلمين وأُفٍّ لمثل إسلامهم!

[أشعة من عظمة الإمام الحسين عليه السلام]

آثار الحركة الحسينية

السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

كان مآل الأحوال السالفة، محَقَ الحَقِّ بالقوَّة، وسَحقَ المَعنويَّات بالماديَّات، وانقراض الأئمة والأُمَّة بانقراض الأخلاق والمعارف.

لولا أنْ يُقيِّضَ الرحمن، لإنقاذ هذه الأُمَّة حُسيناً، آيةً للحَقِّ، ورايةً للعدل، ورمزاً للفضيلة، ومِثالاً للإخلاص، يوازن نفسه ونفوس الأُمَّة في ميزان الشهامة؛ فيَجد الرُّجحان الكافي لكَفَّة الأُمَّة؛ فينهض مُدافِعاً عن عقيدته، عن حُجَّته، عن أُمَّته، عن شريعته، دفاع مَن لا يبتغي لقُربانه مَهراً، ولا يَسألكم عليه أجراً، ودون أنْ تَلوي لِواءه لامَةُ عدوٍّ، أو لائِمة صديق، ولا يَصدُّه عن قَصده مالٌ مُطمَع، أو جاهٌ مُطمَح، أو رأفة بآله، أو مَخافة على عياله.

هذا حسين التاريخ، والذي يَصلح أنْ يكون المَثَلَ الأعلى لرجال الإصلاح، وقَلْب حُكمٍ غاشمٍ ظالمٍ، دون أنْ تأخذه في الله لومةُ لائِم، وقد بدت لنهضته آثار عامَّة النفع، جليلة الشأن؛ فإنَّها:

أوَّلاً: أولدت حركةً وبركةً، في رجال الإصلاح والمُنكرين لكلِّ أمرٍ مُنكَرٍ؛ حيث اقتفى بالحسين السبط عليه السلام أبناء الزبير، والمُختار، وابن الأشتر،

وجماعة التوَّابين، وزيد الشهيد؛ حتَّى عهد سَميِّه الحسين بن علي شهيد فَخٍّ، وحتَّى عَهْدِنا الحاضر مِمَّن لا يُحصَون في مُختلَف الأزمنة والأمكنة، فخابت آمال أُميَّة فيه؛ إذ ظنَّت أنَّها قَتلت حسيناً، فأماتت بشخصه شخصيَّته، وأبادت روحه ودعوته.

كلَّا ثمَّ كلَّا! لقد أحيت حسيناً في قتله، وأوجدت مِن كلِّ قَطرةِ دَمٍ منه حُسيناً ناهضاً بدعوته، داعياً إلى نهضته، أجلْ، فإنَّ الحسين لمْ يَكُن إلَّا داعي الله، وهاتف الحَقِّ، ونور الحَقِّ لا يَخفى، ونار الله لا تَطفى، ويأبى الله إلاَّ أنْ يُتِمَّ نوره، ويَعِمّ ظهوره.

ثانياً: إنَّ الحسين بقيامه في وجه الجَور والفجور، مُقابِلاً ومُقاتِلاً، أحيا ذلك الشعور السامي الإسلامي، الذي مات في حياة مُعاوية، أو كاد أنْ يموت، ونبَّه العامَّة إلى أنَّ حُبَّ الحياة، ورعاية الذات واللَّذات، والتخوُّف على الجاه والعائلات، لو كانت تبرز لأولياء الدين مُصافات المُعتدين؛ لكان الحسين أقدر وأجدر مِن غيره، لكنَّه أعرض عنها؛ إذ رآها تُنافي الإيمان والوجدان، وتُناقض الشهامة والكرامة، فجدَّدت نهضته في النفوس روح التديُّن الصادق، وعِزَّةً في نفوس المؤمنين عن تَحمُّل الضيم والظلم، وعن أنْ يَعيشوا سوقة كالأنعام، وانتعشت إحساسات تحرير الرقاب، أو الضمائر مِن أغلال المُستبدِّين، وأوهام المُفسدين.

ثالثاً: إنَّ النهضة الحسينيَّة، هزَّت القرائح والجوارح، نحو الإخلاص والتفادي، وأتبعتْ الصوايح بالنوايح لتلبية دُعاة الحَقِّ، واستجابة حُماة العدل في العالم الإسلامي، وإنعاش روح الصدق، وهو أُسُّ الفضائل. وبوجه الإجمال، عُدَّت نهضة الحسين عليه السلام ينبوع حركات اجتماعيَّة، باقية الذكر والخير في مَمالك الإسلام، خَفَّفت ويلات المسلمين بتخفيف غلواء المُعتدين، فأيُّ خيرٍ كهذا الينبوع السيَّال، والمِثال السائر في بطون الأجيال. الفَضيلة مَحبوبة الجميع، والرذيلة مكروهتهم، إلَّا أنَّها محبوبة لدى صاحبها فحسب، وإذا عُدَّت الفضائل فَضيلةً، فَضيلة مِن وفاء، وسخاء، وصِدْق، وصفاء، وشجاعة، وإباء، وعلم، وعِبادة، وعِفّة، وزهادة، فحسينُ التاريخ رجُلُ الفَضيلة بجميع مَظاهرها، كما أنّ قاتليه رجال الرذائل بكلِّ معانيها، لا يتناهون عن مُنكر فعلوه؛ فكانت مِن أجل ذلك نهضة الحسين عليه السلام أُمثولة الحَقِّ والعدل؛ إذ بَطَلُ روايتها أقوى مِثال للفضيلة، وقد كانت حركة ابن زياد أُمثولة الباطل والظلم؛ إذ بَطَلُ روايتها أقوى مِثال للرذيلة والفجور، وما حربها إلاَّ تمثيل لصراع الحَقِّ والباطل، والحَقُّ مَهْما قَلَّ مُساعده، وذَلَّ ساعدُه في البداية، فإنَّ النصر والفخر حليفاه عند النهاية، ﴿... **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾.

[نهضة الحسين عليه السلام]

سرطة التوابين

ندم أهل الكوفة على عدم نصرة الحسين عليه السلام وهم الذين دعوه إليهم في بداية الأمر وقد أظهروا ندمهم بعد واقعة الطف سنة ٦١ هـ مباشرة، وأرادوا التكفير عن ذنبهم عبر الخروج المسلح على بني أمية، فبدؤوا فترة إعداد تسليحي استمر أربع سنوات وانتخبوا سليمان بن صرد الخزاعي زعيماً لحركتهم، فاجتمع للحركة عدد من المقاتلين قدّر بأربعة آلاف رجل مع سلاح وعدة حرب.

وقرروا زيارة قبر الحسين عليه السلام وهم يتلون قوله تعالى: ﴿**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ**﴾[1]،

(١) البقرة: ٥٤

وكان تأويلهم للآية أن توبتهم لا تقبل إلا بقتال عدوهم والموت من أجل إظهار الحق وأطلق على هؤلاء اسم (التوابين).

وعسكر هؤلاء المقاتلون الذين كان شعارهم المطالبة بدم الحسين عليه السلام بالنخيلة قرب كربلاء، ثم ساروا حتى انتهوا إلى قرقيسيا من شاطئ الفرات ومنها إلى عين الوردة، بينما توجه الجيش الأموي بقيادة عبيدالله بن زياد في ثلاثين ألفاً، والتقى الطرفان في ربيع الأول من سنة ٦٥ هـ في واقعة دامية غير متكافئة في عين الوردة، وظل القتال مستمراً اياماً حتى قتل معظم التوابين ولحق من بقي منهم بأمصارهم.

يقول أعشى همدان في رثائهم:

فجاءهم جمع من الشام بعده

جموع كموج البحر من كل جانب

فما برحوا حتى أبيدت جموعهم

ولم ينج منهم ثم غير عصائب

وغودر أهل الصبر صرعى اصبحوا

تعاورهم ريح الصبا والجنائب

وحول هذا التحرك لا يجد المؤرخ مفراً من تسجيل الدلالات التالية:

١. ان هذه الحركة كانت نتيجة طبيعية لمظلومية أهل بيت النبوة عليهم السلام، بل انها كشفت حقيقة مهمة وهي ان جذوة حب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ما زالت تعمل أوارها في نفوس الناس، ومع ان عدد التوابين كان محدوداً (٤ آلاف مقاتل) نسبة إلى جيش بني أمية (٣٠ ألف مقاتل) إلا ان الحركة والمعركة حركتا مشاعر الناس نحو حق آل البيت عليهم السلام المهدور.

٢. كان موقف الإمام زين العابدين عليه السلام منسجماً مع سياسته العامة بعدم الاشتراك المباشر حفاظاً على الدين ولكن وجوده عليه السلام كان حاسماً في استلهام معاني الثورة ضد الظلم.

٣. تمرّد عبد الله بن الزبير في مكة على بني أمية في حدود سنة ٦٤ هـ، وبادر بعد موت يزيد بن معاوية إلى بسط سلطانه فاستقطب البصرة والكوفة ومصر.

وعند موت يزيد تولى ابنه معاوية الثاني الحكم لأيام معدودة ثم نزع نفسه من الخلافة، وقام خطيباً فقال:

ايها الناس! ما أنا بالراغب في التأمر عليكم ولا بالآمن لكراهتكم، بل بلينا بكم وبليتم بنا، إلّا أن جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى بالأمر منه في قدمه وسابقته علي ابن أبي طالب فركب جدي منه ما تعلمون وركبتم معه ما لا تجهلون حتى صار رهين عمله وضجيع حفرته تجاوز الله عنه، ثم صار الأمر إلى أبي ولقد كان خليقاً أن لا يركب سننه إذ كان غير خليق بالخلافة فركب ردعه

واستحسن خطأه فقلّت مدته وانقطعت آثاره وخمدت ناره ولقد أنسانا الحزن به الحزن عليه فإنا لله وإنا إليه راجعون. ثم أخفت يترحم على أبيه.

ثم قال: وصرت انا الثالث من القوم الزاهد فيما لديّ أكثر من الراغب وما كنت لأتحمّل آثامكم، شأنكم وأمركم، خذوا من شئتم ولايته فولوه! فقام إليه مروان ابن الحكم فقال: يا أبا ليلى! سنّة عمرية؟ فقال له: يا مروان! تخدعني عن ديني ائتني برجال كرجال عمر أجعلها بينم شورى، ثم قال: والله! إن كانت الخلافة مغنماً فقد أصبنا منها حظاً، ولئن كانت شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها، ثم نزل، فقالت له أمه: ليتك كنت حيضة فقال: وأنا وددت ذلك، ولم أعلم أن لله ناراً يعذب بها من عصاه وأخذ غير حقه.

[الامام علي بن الحسين زين العابدين]

الصغائر قد تكون كبائر

الشيخ محمد مهدي النراقي

هل الاسلام قادر على إسعاد...

السيد محمد حسين الطباطبائي

الأثر الاجتماعي للحياء

الشيخ محمد تقي فلسفي

واقع الصداقة والأصدقاء

السيد مهدي الصدر

الصغائر قد تكون كبائر

الشيخ محمد مهدي النراقي

اعلم أن [الذنوب] الصغيرة قد تكبر بأسباب:

أحدها: الإصرار والمواظبة، ولذلك قال الصادق عليه السلام: «لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار».

والسر فيه: أن الصغيرة لقلة تأثيرها لا تؤثر في القلب بإظلامه مرة او مرتين، ولكن إذا تكرَّرت وتراكمت آثارها الضعيفة صارت قوية وأثرت على التدريج في القلب، وذلك كما أن قطرات من الماء تقع على الحجر على توالٍ فتؤثر فيه، وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة لم يؤثر، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خير الأعمال أدومها، وإن قل».

وإذا كان النافع هو الطاعة الدائمة وإن قلَّت، فكذلك الضار هو السيئة الدائمة وإن قلَّت.

ثم معرفة الإصرار موكول إلى العرف، قال الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[1]، «الإصرار: أن يذنب الذنب، فلا يستغفر ولا يحدث نفسه بتوبة، فذلك الإصرار».

وثانيها: استصغار الذنب، فإن العبد كلما استعظمه من نفسه صغر عند الله، وكلما استصغره كبر عند الله؛ لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهته له، وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به، واستصغاره

(١) آل عمران: ١٣٥.

يصدر عن الألف به، وذلك يوجب شدة الأثر في القلب، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات، ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة، لعدم تأثره به.

ولذلك ورد في الخبر: «أن المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره».

وقال رسول الله ﷺ: «اتقوا المحقرات من الذنوب، فانها لا تغفر»، قيل: وما المحقرات؟ قال: «الرجل يذنب الذنب، فيقول طوبى لي لو لم يكن غير ذلك».

وروى: انه ﷺ نزل بأرض قرعاء، فقال لأصحابه: ائتونا بالحطب فقالوا: يا رسول الله! نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، قال: «فليأت كل انسان بما قدر عليه».

فجاؤوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض، فقال ﷺ: «هكذا تجتمع الذنوب، إياك والمحقرات من الذنوب فان لكل شيء طالبا، ألا وإن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في امام مبين».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تصغر ما ينفع يوم القيامة، ولا تصغر ما يضر يوم القيامة، فكونوا فيما أخبركم الله كمن عاين».

وقال الباقر عليه السلام: «اتقوا المحقرات من الذنوب فإن لها طالبا، يقول أحدكم: أذنب واستغفر الله».

إن الله تعالى يقول: ﴿**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿**إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾[٣].

و قال الصادق عليه السلام: «إن الله يحب العبد أن يطلب إليه في الجرم العظيم، ويبغض العبد أن يستخف بالجرم اليسير».

وقال الكاظم عليه السلام: «لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب، فان قليل الذنوب يجتمع حتى يكون كثيرا، وخافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف».

والسر في عظم الذنب في قلب المؤمن: كونه عالما بجلال الله وكبريائه، فإذا نظر إلى عظم من عصى به رأى الصغير كبيرا، وقد أوحى الله إلى بعض أنبيائه: «لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها». ولذلك قال بعض الصحابة للتابعين: «إنكم تعملون اعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر، وكنا نعدها على عهد رسول الله من الموبقات»، إذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله أتم، فكانت الصغائر عنهم بالإضافة إلى جلال الله كبائر.

وثالثها: أن يأتي بالصغائر ولا يبالي بفعلها، اغتراراً بستر الله عليه، وحلمه عنه، وإمهاله إياه، ولا يعلم أنه انما يمهل مقتاً ليزداد بالامهال اثماً،

(٢) يس: ١٢
(٣) لقمان: ١٦٦

فتزهق أنفسهم وهم كافرون، فمن ظن أن تمكنه من المعاصي عناية من الله به، فهو جاهل بمكامن الغرور، وآمن من مكر الله الذي لا يأمن منه إلا الكافرون.

ورابعها: السرور بالصغيرة واعتداد التمكن من ذلك نعمة، والغفلة عن كونها نقمة وسبب الشقاوة، فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت وعظم أثرها في تسويد قلبه، فمن مزق عرض مسلم وفضحه وخجله، أو غبنه في ماله في المعاملة، ثم فرح به، ويقول: أما رأيتني كيف مزقت عرضه؟ وكيف فضحته؟ وكيف روجت عليه الزيف؟ كانت معصيته أشد مما إذا لم يفرح بذلك وتأسف عليه، إذ الذنوب مهلكات، وإذا ابتلي بها العبد فينبغي أن يتأسف من حيث إن العدو -اعني الشيطان- ظفر به وغلب عليه، لا أن يفرح بغلبة العدو عليه، فالمريض الذي يفرح بانكسار انائه الذي فيه دواؤه لتخلصه من ألم شربه، لا يرجى شفاؤه.

وخامسها: أن يذنب ويظهر ذنبه بأن يذكره بعد اتيانه، أو يأتي به في مشهد غيره، فإن ذلك خيانة منه على الله الذي اسدله عليه، وتحريك الرغبة والشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما خيانتان انضمتا إلى خيانته فتغلظت به، فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت خيانته رابعة، وتفاحش الأمر.

وهذا لان من صفات الله انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر، فلإظهار كفران لهذه النعمة، قال رسول الله ﷺ: «المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستتر بها مغفور له».

وقال الصادق عليه السلام: «من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فدعوه ومن جاءنا يبدي عورة قد سترها الله فنحوه».

وسادسها: ان يكون الآتي بالصغيرة عالما يقتدي به الناس، فإذا فعله بحضرة الناس او بحيث اطلعوا عليه، كبر ذنبه، وذلك كلبسه الذهب والابريسم، وأخذه مال الشبهة، وإطلاقه اللسان في اعراض الناس.

فهذه ذنوب يقتدى العالم فيها ويتبع عليها، فيموت ويبقى شره مستطيرا في العالم، فطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه، وفي الخبر: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولا ينقص من اوزارهم شيء»، قال الله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾[٤]، والآثار: ما يلحق الأعمال بعد انقضاء العمل، فعلى العالم وظيفتان: أحداهما - ترك الذنب والأخرى اخفاؤه، وكما تتضاعف اوزار العالم على السيئات إذا اتبع فيها، فكذلك يتضاعف ثوابه على الحسنات إذا اتبع.

[جامع السعادات]

(٤) يس: ١٢٢.

الأثر الاجتماعي للحياء

الشيخ محمد تقي فلسفي

إن الفائدة الاجتماعية لخصلة الحياء عبارة عن منع الإنسان عن ارتكاب الجرائم، وحفظه من التلوث بالذنوب والاعمال المنافية للآداب. إن كل فرد يرغب في أن يكون حراً في إشباع ميوله وأهوائه، حتى يستطيع ممارستها مطلقاً دون قيد أو شرط... لكن هذه الحرية المطلقة لا تتلاءم مع مصلحته وسعادته. ولهذا فإن الأمور المضرة بالمصالح الفردية والاجتماعية ممنوعة على الفرد في التعاليم السماوية، والقوانين الوضعية في العالم أيضاً... وعلى الجميع أن يتجنبوها، ويمتنعوا عن ممارستها.

لا بد من وجود قوة تحمي القانون حتى يستطيع من فرض إرادته على الأفراد فيضبطوا ميولهم غير المشروعة، وتنفّذ الأساليب المحققة للمصالح المادية والمعنوية... ولا بد من وجود سلطة تضمن اتباع الأفراد وانصياعهم لنصوص القانون وإن كانت مخالفة لمشتهيات أنفسهم، فإن القانون يحتاج الى من يتعهد بتطبيقه وتنفيذه، ولا يكفي تشريعه لإصلاح المجتمع... إذ ما لم توجد الضمانات التنفيذية له فلا سبيل الى التغلب على ميول الأفراد ورغباتهم ومنعهم من متابعة شهواتهم اللامشروعة.

يختلف الضمان التنفيذي للقانون باختلاف المستوى العلمي والتربوي لشعوب العالم؛ لأنهم متفاوتون في درجة تكاملهم المعنوي ورشدهم الروحي بالنسبة الى بعضهم البعض.

إن أفضل الوسائل التنفيذية للأمم الوحشية أو شبه الوحشية، التي لم تحصل على المقدار الكافي من التكامل الروحي والتعالي النفسي، والتي لم تتلقّ تربية صحيحة، هو السجن، والجلد، والإعدام، وسائر الوسائل الجزائية المشددة. في مثل هذه المجتمعات تستند الحكومة الى العنف والقوة، وتحمل الناس على إطاعة القوانين الموضوعة من قبلها بالتعذيب والضغط والتهديد، والحديد والنار.

[الطفل بين الوراثة والتربية]

هل الاسلام قادر على اسعاد البشرية؟

السيد محمد حسين الطباطبائي

ربما يقال: هب أن الاسلام لتعرضه جميع شؤون الانسانية الموجودة في عصر نزول القرآن كان يكفي في إيصاله مجتمع ذلك العصر إلى سعادتهم الحقيقية، وجميع أمانيهم في الحياة لكن الزمن استطاع أن يغير طرق الحياة الانسانية، فالحياة الثقافية والعيشة الصناعية في حضارة اليوم لا تشبه الحياة الساذجة قبل أربعة عشر قرنا المقتصرة على الوسائل الطبيعية الابتدائية، فقد بلغ الانسان إثر مجاهداته الطويلة الشاقة مبلغا من الارتقاء والتكامل المدني لو قيس إلى ما كان عليه قبل عدة قرون كان كالقياس بين نوعين متباينين فكيف تفي القوانين الموضوعة لتنظيم الحياة في ذلك العصر للحياة المتشكلة العبقرية اليوم؟ وكيف يمكن أن تحمل كل من الحياتين أثقال الأخرى؟

والجواب: أن الاختلاف بين العصرين من حيث صورة الحياة لا يرجع إلى كليات شؤونها، وإنما هو من حيث المصاديق والموارد، وبعبارة أخرى يحتاج الانسان في حياته إلى غذاء يتغذى عليه، ولباس يلبسه، ودار يقطن فيه ويسكنه، ووسائل تحمله وتحمل أثقاله وتنقلها من مكان إلى آخر ومجتمع يعيش بين أفراده، وروابط تناسلية

وتجارية وصناعية وعملية وغير ذلك، وهذه حاجة كلية غير متغيرة ما دام الانسان إنسانا ذا هذه الفطرة والبنية، وما دام حياته هذه الحياة الانسانية والانسان الأولي وإنسان هذا اليوم في ذلك على حد سواء.

وإنما الاختلاف بينهما من حيث مصاديق الوسائل التي يرفع الانسان بها حوائجه المادية، ومن حيث مصاديق الحوائج حسب ما يتنبه لها وبوسائل رفعها.

فقد كان الانسان الأولي مثلا يتغذى بما يجده من الفواكه والنبات ولحم الصيد على وجه بسيط ساذج، وهو اليوم يهيئ منها ببراعته وابتداعه ألوفا من ألوان الطعام والشراب ذات خواص تستفيد منها طبيعته، وألواناً يستلذ منها بصره، وطعوماً يستطيبها ذوقه، وكيفيات يتنعم بها لمسه، وأوضاعاً وأحوالاً أخرى يصعب إحصاؤها، وهذا الاختلاف الفاحش لا يفرق الثاني من الأول من حيث إن الجميع غذاء يتغذى به الانسان لسد جوعه وإطفاء نائرة شهوته. وكما أن هذه الاعتقادات الكلية التي كانت عند الانسان أولا لم تبطل بعد تحوله من عصر إلى عصر بل انطبق الأول على الآخر انطباقا، كذلك القوانين الكلية الموضوعة في الاسلام طبق دعوة الفطرة واستدعاء السعادة لا تبطل بظهور وسيلة مكان وسيلة ما دام الوفاق مع أصل الفطرة محفوظا من غير تغير وانحراف، وأما مع المخالفة فالسنة الاسلامية لا توافقها سواء في ذلك العصر القديم، أم العصر الحديث.

وأما الاحكام الجزئية المتعلقة بالحوادث الجارية التي تحدث زمانا وزمانا وتتغير سريعا بالطبع كالأحكام المالية والانتظامية المتعلقة بالدفاع وطرق تسهيل الارتباطات والمواصلات والمؤسسات البلدية ونحوها فهي مفوضة إلى اختيار الوالي ومتصدي أمر الحكومة فإن الوالي نسبته إلى ساحة ولايته كنسبة الرجل إلى بيته، فله أن يعزم على أمور من شؤون المجتمع في داخله أو خارجه مما يتعلق بالحرب أو السلم، مالية أو غير مالية يراعي فيها صلاح حال المجتمع بعد المشاورة مع المسلمين كما قال تعالى: ﴿**وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله**﴾كل ذلك من الأمور العامة.

وهذه أحكام وقواعد جزئية تتغير بتغير المصالح والأسباب التي لا تزال يحدث منها شيء ويزول منها شيء، غير الأحكام الإلهية التي يشتمل عليها الكتاب والسنة ولا سبيل للنسخ.

[قضايا المجتمع والاسرة]

واقع الصداقة والأصدقاء

السيد مهدي الصدر

قد يحسب الناس أن الصديق هو من يحسن مجاملتهم ويظهر البشاشة والتودد إليهم، ويعتبرونه خلاً وفياً وصديقاً حميماً، فإذا اختبروه في واقعة أسفر عن صديق مزيف، وخل مخادع عاطل من خلال الصداقة الحقة وواقعها الأصيل.

ومن هنا كثرت شكايات الأدباء قديماً وحديثاً من تنكر الأصدقاء وجفائهم وخذلانهم رغم ما يكنونه لهم من حب واخلاص.

وأغلب الظن أن سبب تلك المأساة أمران:

الأول: الجهل بواقع الصداقة والأصدقاء وعدم التمييز بين خصائص وخِلالِ الواقعيين من المزيفين منهم .

الثاني: اتصاف أغلب الأصدقاء بنقاط الضعف الشائعة في الأوساط الاجتماعية من التلون والخداع وعدم الوفاء التي سرعان ما يكشفها محك الاختبار، وقد أوضح أمير المؤمنين عليه السلام واقع الأصدقاء وأبعاد صداقتهم فيما رواه أبو جعفر الباقر عليه السلام فقال: «قام رجل بالبصرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الاخوان.

فقال عليه السلام: **الاخوان صنفان**: إخوان الثقة، وإخوان المكاشرة. **فأما إخوان الثقة**: فهم الكف والجناح، والأهل والمال، فإذا كنت من أخيك على حد الثقة، فابذل له مالك، وبدنك، وصاف من صافاه وعاد من عاداه، واكتم سره وعيبه، واظهر منه الحسن، واعلم أيها السائل أنهم أقل من الكبريت الأحمر.

وأما إخوان المكاشرة: فإنك تصيب لذتك منهم، فلا تقطعن ذلك منهم، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه، وحلاوة اللسان».

وقال الصادق عليه السلام: «لا تكون الصداقة إلا بحدودها، فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها فانسبه إلى الصداقة، ومن لم يكن فيه شيء منها، فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة: **فأولها**: ان تكون سريرته وعلانيته لك واحدة. **والثانية**: ان يرى زينك زينه وشينك شينه. **والثالثة**: ان لا تغيره عليك ولاية ولا مال. **والرابعة**: ان لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته. **والخامسة**: وهي تجمع هذه الخصال ان لا يسلمك عند النكبات».

[اخلاق اهل البيت]

مجلة الاعتدال

إعداد أوراق

فاجعة الطف

السيد محمود الحبّوبي

التقوى والتنمية الاقتصادية

الشيخ محمد الريشهري

شعراء الحسين عليه السلام

د. مصطفى جواد

في رثاء الإمام السجاد عليه السلام

الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي

مجلة الاعتدال

مجلة شهرية مصورة تبحث في ميادين العلم، والأدب، والأخلاق، والاجتماع، والتاريخ، مؤسسها ورئيس تحريرها الاستاذ الأديب محمد علي البلاغي، وقد أصدر العدد الأول منها في شهر شباط من عام (١٩٣٣م) في النجف الأشرف، وكان من أبرز أهدافها فتح أبواب التجديد في المجال الادبي ومجاراة النهضات الأدبية المعاصرة، ولعل ما كتبه رئيس تحريرها في افتتاحية عددها الأول من سنتها الأولى، يمثل أهم تلك الأهداف بقوله فيها: «مشروع علمي أدبي حفزنا إلى إظهاره حرصنا الشديد، ورغبتنا في مجاراة النهضات الأدبية.. وتنوير الأفكار، وفتح أبواب ميدان نريد أن يكون فسيحا لأقلام العلماء، والغيارى والمصلحين؛ من دعاة التجديد الأدبي ورسل الدعوة الثقافية، وخدمة الأمة العربية (خاصة) والإسلامية (عامة) عن طريق الإصلاح القائم على أسس العلم المكين والأخلاق القويمة، والمبادئ الصحيحة التي هي وحدها حياة الشعوب».

سبب التسمية بالاعتدال:

وقد اختار البلاغي (الاعتدال) عنوانا لمجلته، وكان يحدوه في ذلك عدة دوافع قد بينها في مقال نشره في عددها الأول بالعنوان نفسه، بيّن فيه أن الاعتدال هو (التوازن) و(الخط المعتدل) لأعمال الإنسان، يتجاوز من خلاله كل ما يميل به إلى (الإفراط) أو (التفريط) بقدراته ومعطياته، وهو أيضا منبع (الحكمة) وقوة (العقل) في السيطرة على غرائز الانسان واندفاعاته.

وقد حظي عنوان المجلة باستحسان عدد من أصحاب الرأي والفكر وتأييدهم، كان من بينهم المجتهد والمفكر محمد حسين كاشف الغطاء المعروف بمنهجه التجديدي الاعتدالي، حيث كتب بعددها الصادر في آذار من عام ١٩٤٦م، مقالا حمل عنوانا محفزا وحاثا (إلى الاعتدال أيها الناس)، مما جاء فيه:

(ما أجمل الأسماء إذا طابقت مسمياتها، وما أفضل المسميات إذا جاءت وفقا لأسمائها، و(الاعتدال)

كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان.. وهو الوسط الذي هو خير الأمور.. والصحيفة التي تعتدل في خطتها وتدعو الناس إلى الاعتدال في عامة شؤونها، يجب أن تؤازر وتناصر، وجديرة بالقبول والإقبال لشرف ما تدعو إليه).

مسيرة الاعتدال التاريخية:

لقد صدرت الاعتدال في سنتيها الأولى والثانية بخمسين صفحة فقط، رغبة من رئيس التحرير لترصين محتواها كمّاً ونوعاً، ورفدها ما أمكن بنتاجات قيمة لكُتّاب وأدباء عراقيين وعرب مرموقين، ثم أقدم على زيادة صفحاتها إلى ستين صفحة للعدد منذ سنتها الثالثة، ثم ازدادت إلى ثمانين صفحة في سنتها الأخيرة.

وكان مجمل أعدادها الصادرة في السنة الواحدة عشرة أعداد فقط، حيث لم تنتظم فيها أوقات الصدور بثبات محدد منتظم، وإنما كانت تتعرض إلى توقف مؤقت في بعض الأحيان، وإلى تأخر في صدور في أحيان أخرى، بل وإلى انقطاع طويل تجاوز أربع سنوات في مدة لاحقة امتدت من أيلول من عام (١٩٤١م) إلى شباط من عام (١٩٤٦م)، هذا إلى جانب اضطراب أوقات صدورها، كاصدارها عددين أو ثلاثة في وقت واحد، وتأخر صدور

الاعتدال
فاجعة عاشوراء
الاشتراك

بعضها إلى شهرين أو أكثر.

وكان يطبع العدد الواحد من أعدادها بألف نسخة، وقد عُدّ هذا الرقم محليا جيدا وفق مقياس الزمان والمكان، وكان المرتجع من أعدادها يكاد يكون نادرا.

البلاغي والاعتدال

لقد حرص الاستاذ محمد علي البلاغي على أن تكون الاعتدال من المجلات المتميزة سواء في

المجال العلمي والأدبي أم في المجال الفني -الطباعة والتصميم والاخراج- بل وحتى في مجال الترويج والتسويق للمجلة، ففي المجال العلمي والادبي نرى كُتّاب الاعتدال كانوا من أرباب القلم والبيان من أبناء الرافدين والعالمين العربي والإسلامي، كما كان رئيس تحريرها في مقدمة من كتب فيها، فقد خص جميع أعدادها تقريبا بافتتاحيات عالجت موضوعاتها قضايا متنوعة الرؤى وعلى مختلف الصعد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، ناهيك عما أتحفت به من نصوص وموضوعات، ترجمت عن الأدب العالمي إلى العربية من لغتها الأم كالإنجليزية والفرنسية، بهدف إغناء قرائها، ما أمكن إلى ذلك سبيلا، بثقافات وآراء، اختلفت أصولها الحضارية، وتنوعت مشاربها الفكرية.

وأما المجال الفني نرى اهتمامه بالتصميم والشكل الخارجي حيث حظيت المجلة بغلاف ملون -لونه أخضر أو أصفر فاتح- وبالقطع الوزيري وكذلك تضمين بعض أعدادها صورا تجملها لشخصيات سياسية وأدبية، محاولةً استقطاب اهتمام القارئ، كصورة الأديب والسياسي المعروف محمد رضا الشبيبي -وهي أول صورة تُنشر على صفحات عددها الثاني من سنتها الأولى-، وأعقبتها صور أخرى ذوات دلالات ومغزى واضح.

كما بذل جهودا مضنية لإخراج أعدادها بحلة طباعية قشيبة، وهذا يفسر لنا انتقالها من مطبعة إلى أخرى، بل إنه سعى إلى تأسيس مطبعة خاصة بها، إلا أن أمورا حالت دون تحقيق هدفه، بسبب أحداث ما بعد الحرب العالمية الثانية، إذ تعذر عليه استيراد واحدة من الخارج.

فقد كانت تطبع في مطابع النجف الأشرف، حيث طبعت أعداد سنتها الأولى والأعداد الخمسة من سنتها الثانية في المطبعة العلوية، ومن ثم تتالت طباعة أعدادها في مطبعة الغري، حتى عددها التاسع من سنتها السادسة، فبعد تأسيس مطبعة الزهراء، طبع فيها العدد العاشر والأخير من سنتها الأخيرة.

كذلك لا ننسى الترويج والتسويق، فقد زود البلاغي عدداً غير قليل من الأصدقاء والأدباء والمكتبات والمدارس الأهلية بنسخ من (الاعتدال) مجانا، فضلا عن مبادلاته مع رصيفاتها من المجلات العراقية والعربية، خاصة تلك المستمرة بصلاتها المنتظمة وإدارة المجلة.

وبهدف تنظيم الصلة مع قرائها وإدامتها، أصدرت قسيمة اشتراك خاصة بها، بعثتها لكل من رام الاشتراك فيها والحصول على أعدادها بانتظام، مقابل خدمة بريدية لا تتعدى قيمتها (٣) فلوس فقط، لتتكفل إدارة المجلة بإيصالها له بريديا.

التقوى والتنمية الاقتصادية

الشيخ محمد الريشهري

نقرأ في النصوص ذات الصلة بالمبادئ الاعتقادية للتنمية، أن الله سبحانه ضمن لثلاثة أصناف رزقهم من غير احتساب؛ بحيث تأتيهم أرزاقهم خارج نطاق الحسابات العادية، هؤلاء هم: المتقون، وأهل التوكل، والمتفقهون في الدين. يمكن القول بإزاء هذه النصوص: إن ذكر الطائفتين الثانية والثالثة جاء من باب ذكر الخاص بعد العام؛ من حيث إن التوكل و التفقه في الدين هما من اللوازم البارزة للتقوى؛ إذ لابد من تحقق التقوى بمفهومها الكامل من التوكل والتفقه معا.

سؤالان مهمان يُثاران إزاء هذه الرؤية؛ الأول: ما المقصود من أن التقوى هي سبب للرزق من غير المسارات الطبيعية؟ ثم هل التقوى -كسبب للرزق- هي في طول العمل وبذل الجهد، أم هي في عرضهما؟

لا ريب أن الإقرار بدور تؤديه التقوى في التنمية الاقتصادية يأتي في طول العمل وامتداده لا في عرضه. ما يمكن أن يثبت هذا المدعى بوضوح هو:

أولا: السيرة القطعية لأنبياء الله ورسله الكرام وأئمة الدين، وهم الذروة في أهل التقوى والقمة الشاهقة لأهل التوكل، فهذه سيرتهم تشهد بنصاعة على أن مسار التقوى والتوكل في حياتهم إنما هو في امتداد العمل، لا في عرضه.

ثانيا: ثمّة آيات وروايات مستفيضة بل متواترة تحثّ الناس على المثابرة والعمل، وتدعو المسلمين إلى تأمين احتياجاتهم الحياتية من خلال تحمل الأذى وتجشم العناء في هذا السبيل، وهي إلى ذلك تُرجع الفقر والتخلف إلى التواني والكسل، ثم تلوم من يُلقي بكلّه على المجتمع ويكون عالة عليه، بل تلعن من يقصر في إيفاء متطلبات عائلته ولا ينهض

بمسؤولية تأمين احتياجاتها، وتصفه بأنه مذنب. كل هذه تشهد على أن الدور الذي تلعبه التقوى يأتي إلى جوار العمل، لا متقاطعا معه.

ثالثا: ما ورد من أحاديث في تفسير الآية الكريمة: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾[1] هو أنصع شاهد على ما ندعيه؛ فحين تناهى إلى سمع النبي ﷺ أنّ جمعاً من الصحابة لم يدركوا مغزى الآية ولم يفهموها على نحو صحيح حيث تركوا العمل وانصرفوا إلى العبادة، بعث إليهم وسألهم: «ما حمَلَكم على ما صنعتم؟». قالوا: يا رسول الله، تُكفِّل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة. فقال: «إنه من فعل ذلك لم يُستجب له، عليكم بالطلب!»[2].

ربما يُثار سؤال في هذه الأجواء عن طبيعة التأثير الذي يمكن أن تؤديه التقوى في التنمية الاقتصادية إلى جوار العمل، ثم كيف يمكن تحديد هذا التأثير ومعرفته؟

ما نستشفّه من النصوص الإسلامية أن للتقوى أثرين مهمين تنهض بهما في التنمية الاقتصادية إلى جوار العمل، هما:

الأول: أن التقوى تُسبغ على العمل البركة، ومن ثم ستأتي نتائج العمل ومعطياته أعلى مما تمليه الحسابات الطبيعية، وبتعبير القرآن الكريم نفسه: ستهطل البركات الإلهية من السماء والأرض، وتحيط بالمجتمع من كل صوب[3].

الثاني: في المواقع التي لا تفي الأسباب المادية ببلوغ المقصود وتضلّ الجهود سعيها، تطلّ التقوى على الإنسان كنافذة من الغيب وكهِبَة من السماء، فيتأمّن للإنسان رزقه بغير الطرق المادية.

على هذا، لا تعد التقوى إلى جوار العمل مانعا عن التنمية الاقتصادية، بل تدخل في عداد المبادئ القيمية للتنمية أيضا...

على أن الحكمة الإلهية قد تقتضي أحيانا أن يصل الرزق إلى إنسان من دون عمل ويجري عليه بغير جهد؛ لكي يتعرف الناس على الرازق الحقيقي بنحو أفضل أو لأي سبب آخر تقتضيه حكمته سبحانه. مثال هذه الحالة ما تحدث به القرآن عن السيدة مريم: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[4].

بيد أن هذه الحالات نادرة، وهي خاضعة للحكمة الخاصة التي تمليها، ومن ثم فإن ضرورة العمل لا تتنافى مع إيجاد دور للتقوى في بقية الموارد.

[التنمية الاقتصادية في الكتاب والسنة]

(١) الطلاق: ٢، ٣.
(٢) الكافي: ٥/ ٨٤/ ٥.
(٣) ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾[الأعراف: ٩٦].
(٤) آل عمران: ٣٧.

في رثاء الإمام السجاد عليه السلام

الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي

قرحت جفونك من قذى وسهاد ... إن لم تفض لمصيبة السجاد
فأسل فؤادك من جفونك أدمعاً ... واقدح حشاك من الأسى بزناد
واندب إماماً طاهراً هو سيد ... للساجدين وزينة العباد
ما أبقت البلوى ضنىً من جسمه ... وهو العليل سوى خيال باد
ملقى على النطع الذي فوق الثرى ... ألقوه منه بقسوة وعناد
يرنو لأيتام تضج أمامه ... وتعج إعوالا وراء الحادي
ولصبية تدمي السياط متونها ... فتصاغ أطواقا على الأجياد
ولنسوة فوق النياق حواسر ... تسبى بأسر أراذل وأعاد
ويرى جبين السبط بدرا كاملا ... يزهو بأفق الذابل المياد
والنار يلهب في الخيام سعيرها ... حتى استحال ضرامها لرماد
لهفي عليه يئن في أغلاله ... بين العدى ويُقاد بالأصفاد
مضنىً وجامعة الحديد بنحره ... غل يعاني منه شر قياد
تحدو به الأضغان من بلد إلى ... بلد وتسلمه إلى الأحقاد
والشام إن الشام أفنى قلبه ... ألماً وآلَ بصبره لنفاد
لم يلق فيه سوى القطيعة والعدى ... وشماتة الأعداء والحساد
سل عنه طيبة هل بها طابت له ... بعد الحسين نواظر برقاد
هل ذاق طعم الزاد طول حياته ... إلا ويمزج دمعه بالزاد
أودى به فجنى وليد أمية ... وهو الخبيث على وليد الهادي
حتى قضى سما وملء فؤاده ... ألم تحز مداه كل فؤاد

فاجعة الطف

السيد محمود الحبّوبي
المتوفى ١٣٨٩

شجون يقض لها المضجع ... وهم له العين لا تهجع
وحزن تولاك يا بن الوصي ... لأمر هو الحادث الافظع
أتاك بأن خلافتكم ... تحلى بها الالكع الاكوع
يزيد الغرور يزيد الفجور ... يزيد الخمور وما يتبع
أبى طاعة الله والمسلمون ... له من أنامله أطوع
ويجبن عن كل فخر كما ... على كل موبقة يشجع
وأثمن من أنفس المسلمين ... له قدح بالطلى يترع

فبت تؤرقك الهاجسات ... وما لك في دفعها مطمع
أيلعب بالحكم وغد ولا ... يد بالحسام له تصفع
أأضيع هذا الورى بينهم ... نبيه، وأنبههم أضيع
فظلت كأنك فوق المهاد ... على كل جارحة مبضع
وبينا تفكر بالمسلمين ... وماذا ابن صخر بهم يصنع
اذا بالرسائل تترى عليك ... كمنهلة المزن اذ تهمع
فرسل تجيء ورسل تعود ... وكتب بأضعافها تشفع
رسائل تطلب منك القدوم ... لمن هم ملبوك مهما دعوا
جنود أبيك وأنصاره ... ومن هضبة الجور قد زعزعوا
وحزب أخيك وأشياعه ... ومن غير نهجك لم يتبعوا
وقد وحدوا رأيهم أن تكون ... اماما عليهم وقد اجمعوا
فلما اعتزمت موافاتهم ... وهم في دياجي الشقا هجع
نصيب سواهم نعيم الحياة ... وحظهم فقرها المدقع
قطيع له الذئب راع، متى ... يطيب ويهنا له مرتع

وما ان خدعت بايمانهم ... ومن خبر الناس لا يخدع
ولكن ليفهم معنى الحياة ... أناس بأوهامهم قنع
خرجت بظعنك من يثرب ... وسرت تشيعك الادمع
وأسرع نحوك أسيادها ... وأدمعهم منهم أسرع
وقد ودعوك فهل أيقنوا ... بأنهم مجدهم ودعوا
فقمت كما انتفض ابن العرين ... لهم، أو كما عصفت زعزع
وقلت وقد غمر الحاضرين ... جلالك والشرف الارفع
أمرٌّ من الموت أن تذعنوا ... لحكم الطليق وأن تخضعوا
وماذا ستجنون من فعلكم ... اذا حصد المرء ما يزرع
أيغدو ابن ميسون وهو الاذل ... عليكم أميرا ولم تجزعوا
أيستبعد الكلب ليث الشرى ... وبالحوت يحتكم الضفدع
أبى مجد هاشم أن يستكين ... بنوه المغاوير أو يضرعوا
وما أبعد الذل عن مثلهم ... لمن عن مخازيه لا يردع
ومن خير اثاره شرها ... وأفضل أعماله الاشنع
وأشهى من العمر اتلافه ... اذا طاول الارفع الاوضع
وليس الحياة بمحبوبة ... اذا غلب الساعد الاصبع
فلا بد من نهضة لي بها ... بلوغ المرام او المصرع

- الحسين في طريقه الى مكة:

ظعنت برهطك تطوي القفار ... وبالنجب أجوازها تقطع
يحلك في مهمه مهمه ... ويدنيك من حاجر لعلع
وحولك من هاشم فتية ... فؤاد المعالي بهم مولع
كستها يد العز برد الجلال ... وأبدع تكوينها المبدع
مصابيح في الافق اشباهها ... بهم كل داجية تصدع
تناقلك البيد حتى غدا ... لركبك في مكة موضع
وريع يزيد فبث العيون ... عليك فما فاتهم مجمع
وأحزن مكة أن ابنها ... الابر على هجرها مزمع

ولما تلاقت وفود الحجيج ... ومن كل فج أتت تهرع
شرعت بسيرك نحو العراق ... وخصمك في كيده يشرع
وجئت الطفوف فجاءتك من ... جهات العراق العدا تسرع
رعيل يجد بأثر الرعيل ... وجيش خطى مثله يتبع
وقفت تحذرهم فعلهم ... وتأبى غوايتهم أن يعوا
ومذ أخفق القصد في وعظهم ... وعاد سوى السيف لا ينفع
تقدم للحرب ابناؤها ... ومن بأسهم ليلها يسطع
ليوث وغى ان يحم البلاء ... بهم كل نازلة تدفع
تحامي كماة العدى قربهم ... كما يتقى الجانب المسبع
وخاضوا غمار الردى، والظبى ... تسل، وسمر القنا تشرع
فخروا لوجه الثرى بعدما ... تضعضع هولا وما ضعضعوا
وماتوا كراما أريج الثناء ... لهم من أريج الكبا أضوع

- رضيع الحسين:

وطفلك أعزز على أمه ... وقد عاد من دمه يرضع
سقته المدامع لو لم يكن ... من الرعب قد جمد المدمع
أتتك به كي تروي حشاه ... وغيرك ليس لها مفزع
وهب انكم قد أخذتم بما ... جنيتم، فماذا جنى الرضع

- وبعدما يصف حملات الحسين عليه السلام الى مصرعه يختم الملحمة بقوله:

كفى ان ذكراك يا بن النبي ... بها كل قلب لنا موجع
ستبقى مخلدة ما دعا ... فم في الورى أو وعى مسمع
وان سهام رزاياكم ... بكل فؤاد لها موقع
أيفزع منها الحشا سلوة ... وقد ضاق فيها الفضا الاوسع
وما جل يومك لو أننا ... بمثل حوادثه نفجع

جل المصاب

د. مصطفى جواد

جل المصاب مصاب آل محمد ... فاذر الدموع بيومه المتجدد
وابكِ الكرام الذائدين عن العلى ... والدين بالقول الكريم وباليد
ذكر الزمان مصابهم فاعاده ... تاريخ عز للسمو مؤيد
فالحق لا ينسيه سالف عهده ... والذل لا يبقيه سوط المعتدي
والعدل لا تبليه قلة أهله ... والدين لا يوهيه طعن الملحد
آل الرسول أجل فهات حديثم ... واذكر مصابهم ولا تخشَ الردي
جمعوا الفضائل والمكارم والعلى ... والعلم والتقوى لاذكى محتد
ما حرر الاسلام الا سادة ... بذلوا دماءهم له عن مقصد
سنوا لاهل الحق سنة ثورة ... اضحى بها الاسلام مرهوب اليد
مل الحديد من الحديد وعزمهم ... ما مل من نصر لدين محمد
فليقلع الجبناء عن اقوالهم ... ان الجبان كأنه لم يولد
في كل قطر روضة لكرامهم ... بندى المعالي روض ذكراها ندي
رام العدو عفاءها لكنها ... حفظت على رغم العدو بمشهد
في المغرب الاقصى وفي مصر وفي ... هذا العراق وفي بقيع الغرقد
وشهيدهم في كربلاء شهيدهم ... في انهم اهل المقام الاوحد
عطف الصفوف على الصفوف يذيقها ... حتف الحتوف وينثني كالجلمد
هجمات حيدرة العظيم وقلبه ... اذ صال في صفين أو في المربد
لله يوم الطف يوما فارقا ... بيض الوجوه عن الفريق الاسود
كتب العراق وثيقة استقلاله ... بدم الحسين السيد بن السيد
بيني وبينك يا يزيد قضية ... لا تنتهي وعداوة لم تنفد
أورثت ملكا لم تكن أهلا له ... ووليت دينا ريع منك بمفسد

يا نفس:

ما المانع لكِ من المبادرة إلى صالح الاعمال، وما الباعث لكِ على التسويف والاهمال، وهل سببه إلا عجزكِ عن مخالفة شهوتكِ، وضعفكِ عن مؤالفة أئمتكِ؟ وهبي أن الجهد في آخر العمر نافع، وأنه مرق إلى أسعد المطالع، فلعل اليوم آخر عمرك، ونهاية دهرك..:

ولا ترجُ فعل الصالحات إلى غد لعل غدا يأتي وأنت فقيد..

يا نفس:

ولرب شهوة ساعة قد أورثت حزنا طويلا، فكم من أمنية جلبت منية..:

من نال من دنياه أمنية أسقطت الايام منها الالف

وإياكِ إياكِ أن ترضي غير الله وتعرضي عنه، فإنه مانعك من الغير ولا يمنعك الغير منه، والعجب منك كيف تذنبين والشاهد عليك الملك الجبار؟! وتضحكين ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار؟!